AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00972 4877

OCM16632173

تحليـــل الشخصية

Barakat, Muhammad Khalifah
Tahlil al-Shakhsiyah
BF
173
B2X
1951

في علم النفس

تحليل الشخصية

تأليف

الدكتور محمد خليفة بركات

دبلوم التربية — دبلوم الخدمة الاجتماعية — القاهرة
بكالوريوس التخصص فى علم النفس من جامعة لندن
دكتوراه فى علم النفس من جامعة لندن
مدرس بمعهد التربية — جامعة إبراهيم

التزام الطبع والنشر

مكتبة مصر

١٠ شارع كامل صدقى باشا
(١٣ شارع الفجالة سابقا)

دار مصر للطباعة

OCLC
166325173

B14000064
16142834

137
M725

۱۳۷
م۲۵
۲۷

30931

مقدمة الكتاب

إن ما لمسناه من نقص فى المكتبة العربية للكتب العلمية فى علم النفس جعلنا نفكر فى المساهمة بنشر أحدث الآراء فى هذا العلم الهام فى صورة سلسلة كتب سميناها : « فى علم النفس » .

وقد بدأ هذه السلسلة زميلى الأستاذ عبد المنعم المليجى فى كتابه « النمو النفسى » وتبعه زميلنا الدكتور مصطفى فهمى فى كتابه « الدوافع النفسية » .

وها أنذا أتقدم بالكتاب الثالث من السلسلة عن « تحليل الشخصية » .

والغرض من هذا الكتاب هو إشباع رغبة القراء الذين يهمهم دراسة موضوع الشخصية وأركانها الرئيسية ، حتى يمكنهم فى ضوء هذه الدراسة أن يعملوا على تحسين أساليب سلوكهم وسلوك غيرهم على أساس فهمهم لأنفسهم ونفوس غيرهم .

فالحديث عن الشخصية وتحليلها والحكم عليها أمر مألوف يجرى على كل لسان ، ولكن من الخير أن يدعم هذا الحديث والتحليل وأن تبنى هذه الأحكام على أسس علمية تشمل تحليل

جميع عناصر الشخصية ، ليكون الحكم أقرب إلى الصحة وأدنى إلى المعقول .

وقد عنيت فى هذا الكتاب بعرض بعض ما وصل إليه العلم الحديث من نتائج عرضاً علمياً . وحرصت على إيراد المصطلحات الأجنبية حتى يسهل على من يريد الاستزادة أن يرجع إلى المراجع التى ذكرتها فى مناسباتها .

وقد بدأت الكتاب بتحليل للتعاريف المختلفة للشخصية ثم استنتجت منها التخطيط العام الذى اتخذته هيكلا للكتاب ، وتناولت بالتحليل أركان الشخصية ومكوناتها مبتدئاً بالنواحى الجسمية ثم النواحى العقلية ، وحرصت على الإبقاء على الاتجاه الحديث فى علم النفس الاجتماعى الذى يعتبر الشخصية محصلة لعوامل الفرد وعوامل البيئة معا ، ولذا أفردت فصلا خاصاً لأثر البيئة فى تكوين الشخصية .

وقد اختتمت الكتاب بفصل عن تكامل الشخصية وأهمية النظر إليها كوحدة لا تتجزأ رغم ما قمت به من تحليل إلى عناصرها الأولية ، وتبعت ذلك بفصل عن الناحية التطبيقية لمن يهمهم فعلا طرق تقدير الشخصية والحكم عليها . .

وقد حرصت خلال الحديث عن النواحى المختلفة على أن

أوضح فى تأكيد وإيمان تداخل نواحى الشخصية وتفاعلها المستمر بعضها مع البعض بحيث يصعب الفصل بين ما هو جسمي وما هو عقلى أو ما هو معرفى وما هو مزاجى ، ولم يفتنى أن أوضح هذه الحقيقة بالأمثلة المختلفة . . فالذى يحدث التميز والاختلاف بين الشخصيات ليس مجرد وجود صفات معينة ، وإنما الطريقة التى ينتظم بها تكوين هذه الصفات وتفاعلها مما يخلق تلك الصفة الانفرادية الهامة التى تجعل من كل شخصية وحدة ، والتى تؤدى إلى عدم وجود شخصين متشابهين شبهاً كاملا على الإطلاق .

ولعلى أكون قد وفقت فى تقديم بعض العون إلى طلاب علم النفس ، وزملائى من الآباء والمدرسين والإخصائيين الاجتماعيين وكل من يهمهم دراسة علم النفس ، بما يمكنهم من القيام بدراسة الحالات النفسية لمن يتعاملون معهم سواء كانوا من الأطفال أو الكبار ، ومن العاديين أو الشواذ ، وسواء كان ذلك فى المنزل أو المدرسة أو المصنع أو المستشفى أو أى مؤسسة اجتماعية مما يُحتاج فيها إلى الاسترشاد بضوء علم النفس .

والكتاب محاولة علمية متواضعة قائمة على خبرة عملية بتدريس علم النفس فى معهد التربية بجامعة ابراهيم وفى معهد ومدارس الخدمة الاجتماعية بالقاهرة والإسكندرية لمدة نصف

عام ، وهذه وإن كانت مدة قصيرة ولكنها مسبوقة بخبرة طويلة فى الاشتغال بدراسة علم النفس بمصر وانجلترا مدة خمس عشرة سنة .

ولا يفوتنى أن أشكر صديقى وتلميذى الأستاذ مصطفى طيب الأسماء الطالب السودانى بمعهد التربية على ما قدمه من عون فى إخراج هذا الكتاب ، كما أشكر الأستاذ كمال عفيفى المشرف على معمل علم النفس التجريبى بمعهد التربية على ما قدمه من مساعدة فى عمل الرسوم التوضيحية .

القاهرة فى أبريل ١٩٥١ محمد خليفة بركات

الفصل الأول

تعاريف الشخصية

مقدمة :

يرمى علم النفس العام إلى دراسة ظواهر الحياة العقلية وأنواع السلوك المختلفة . ويتبع فى ذلك الطرق والأساليب التى تساعده على معرفة الصفات النفسية التى يصح إرجاعها إلى قواعد أو قوانين عامة ، شأنه فى ذلك شأن أى علم من العلوم . ولكن مهما توصلنا إلى كشف تلك الصفات المشتركة ، وخصائص السلوك العامة للعقل ، فإنه لا تزال أمامنا ظاهرة هامة هى : صفة الانفرادية ، تلك الظاهرة التى يتميز بها كل كائن حى عن سواه من الكائنات ، والتى تجعل منه وحدة مستقلة مختلفة عن باقى الأفراد من أبناء جنسه رغم ما يوجد بينهم من تشابه واتفاق . فكل إنسان من حيث كونه ظاهرة وحيدة متميزة لا تتكرر أبداً على طول الزمن ، ومن حيث كونه لا يوجد من يشبهه شبهاً كاملا فى أى مكان ، يعتبر مهملا من هذه الناحية ، وبعيداً عن مجال البحث العلمى الذى يجعل مهمته استخلاص القواعد العامة ، والذى

تتضاءل أمامه أهمية تلك الظاهرة الانفرادية الهامة .

وقد أدى إهمال هذه الفردية فى علم النفس إلى اتهامه بالقصور إذ أنه — كما قلنا — يضع القواعد التى تطبق على العقل والسلوك بصفة عامة دون أن يأخذ فى الاعتبار تلك التفاصيل الدقيقة التى تميز كل فرد عن غيره تمييزاً تاما . وقد يوجه هذا الكلام لكل العلوم التى تنهج هذا النهج فى البحث العلمى ، ولكن علم النفس أكثر تعرضاً لهذا القصور ؛ لأن موضوعه هو الكائن الحى وخصوصاً الإنسان الذى تظهر فيه ظاهرة الإنفرادية بوضوح وجلاء . وقد فطن لهذه الحقيقة عالم النفس الألمانى فونت (Wundt) مؤسس علم النفس التجريبى ، والذى يعتبر من قادة علم النفس الفردى أيضا حيث قال :

« ليس فى علم النفس قانون إلا رأينا فيه أن الحالات التى تشذ عن القانون أكثر عدداً من الحالات التى ينطبق عليها » .

ومن أجل ذلك نجد أن كثيراً من الاتجاهات فى علم النفس قد تركزت فى بحث الفروق الفردية ، وأصبحنا نجد لعلم النفس فروعا تهتم بها مثل « علم نفس الفروق الفردية » ، و « علم النفس الفردي » و « علم النفس التحليلى » . كما نجد أيضاً فروعا تهتم بالصفات الطائفية وأنواع السلوك المختلفة ، وأنواع الشخصيات ، كالفروع التى تهتم بالشواذ ، والتى تهتم بفكرة الشخصية كوحدة

من وحدات الحياة العقلية، وهذا مايسمى «سيكلوجية الشخصية».

إذن فدراسة الشخصية يقصد بها الاهتمام بتلك الصفات الخاصة بكل فرد ، والتى تجعل منه وحدة متميزة مختلفة عن غيره من حيث العوامل المختلفة التى تفاعلت مع بعضها فأدت إلى هذا الأسلوب الخاص من السلوك ، وهذا الطابع الذى لا يشترك فيه اثنان إشتراكا كاملا من كل ناحية .

ولما كانت مثل هذه الدراسة لا تتم إلا بتتبع الحالات الفردية ودراسة كل حالة على حدة ، كان للأبحاث الإكلينيكية فى العيادات السيكلوجية المختلفة أهمية كبرى فى دراسة موضوع الشخصية .

غير أنه لا يمكن لأى باحث أن يحيط علماً بعقلية كل فرد على حدة ، ولا تزال مهمتنا فى البحث هى أن نجمع بين ميزات القواعد العامة ، و بين ما يمكن استفادته من الحالات الخاصة .

و إذا كان علم النفس العام يرمى إلى دراسة العوامل العامة ، والصفات المشتركة بوجه عام ، وعلم النفس الفردى يرمى إلى دراسة الحالات الخاصة من ناحية التفاصيل ، والصفات المميزة الخاصة بكل حالة على حدة ، فإن من الممكن أن نجمع بين الاثنين بالالتجاء إلى علم النفس الإحصائى ليساعدنا فى تصنيف الصفات

المختلفة ، المشتركة منها والخاصة ، كما فى طريقة التحليل العاملى التى تحاول التصنيف بالوصول إلى :

الصفات العامة ، والصفات الطائفية ، والصفات النوعية .

فالصفات العامة هى التى يشترك فيها الجميع — والصفات الطائفية هى التى يشترك فيها طائفة من الناس — والصفات النوعية هى التى لا يشترك فيها أحد . . والواقع أن الذى يميز شخصية عن الأخرى هو مبلغ ما فيها من كل هذه الصفات .

تعاريف الشخصية

قبل أن نحاول دراسة الشخصية ينبغى أن نحاول تحديد المعنى العلمى لهذه الكلمة وخصوصاً أن استعمالها فى الأحاديث العادية من المرونة بحيث يحتمل أكثر من معنى واحد .

وحين نتتبع محاولات علماء النفس لتعريف هذه الكلمة ، نجد أن كلا منهم كان ينظر إلى الشخصية من زاوية خاصة . وسنورد فيما يلى بعض الخطوات التى تطور فيها معنى هذه الكلمة ، وهى فى جملتها تتبع مراحل تطور علم النفس ، وأساليب البحث فيه

الشخصية كمظهر خارجى :

الأصـــل فى كلمة (Personality) أنها مشتقة من لفظ لاتينى (Persona) ومعناه القناع ، أو الوجه المستعار ، الذى يظهر به الشخص أمام الغير ، وكان استعمال هذا اللفظ مرتبطا بالتمثيل المسرحى ، حيث يبدو الشخص للغير عن طريق ما يأتيه من حديث وحركات ظاهرية . ولهـذا فإن تعاريف الشخصية قامت فى البداية على فـكرة التمثيل ، وما يبدو على الفرد من الصفات الظاهرية بصرف النظر عما يخفيه فى نفسه من صفات داخلية . ويرتبط بهذه الفـكرة ، تعريف الشخصية بالقدرة على التأثير فى الغير ، أو الأثر الذى يتركه الشخص فيمن حوله ، وما يرتبط بذلك مما قد يكون لدى الفرد من هيبة ووقار ، وكبرياء ، أو تواضع وخضوع واستسلام .

ولـكن هذه التعاريف لا توضح لنا شيئا عن الصـــفات الداخلية الحقيقية فى الشخص . إذ أن الفرد يمكن أن يعتبر عددا من الشخصيات وهى : الشخص كما يراه غيره ، والشخص كما يرى نفسه ، والشخص على حقيقته . وطبيعى أن تعريف الشخصية السابق غير شامل ؛ لأنه يهمل النوعين الأخيرين ويهتم فقط بالشخص كما يراه غيره .

الشخصية كقوة مركزية داخلية :

وعلى النقيض من ذلك تماما نجد فكرة النظر إلى الشخصية من ناحية كونها تركيبا نفسيا معقدا ، غير ممكن تحليله أو فهمه ، أو كونها قوة مركزية داخلية توجه الفرد فى حركاته وسكناته . وطبيعى أن مثل هذه النظرة لا تفيدنا كثيرا ، ولا تقدم ولا تؤخر فى فهم طبيعة النفس ؛ إذ أنها تترك باب البحث والدرس مغلقا أمام فهم عناصر الشخصية ومكوناتها .

ويرتبط بذلك أيضاً التعاريف التى تهتم بفكرة المرء عن نفسه ، وتحليله لما هو عليه ، ومعرفة صفاته النفسية الداخلية ، ويتمشى هذا مع طريقة التأمل الباطنى وهى إحدى طرق البحث الهامة فى علم النفس — كما كان التعريف السابق متمشيا مع طريقة الملاحظة الخارجية — وهذا النوع من التعاريف يعتبر ناقصا كسابقه ؛ إذ أنه يهتم فقط بمظهر واحد من الشخصية ، وهو الشخص كما يرى نفسه .

التعريف الاجتماعى :

وانتقل التعريف خطوة مفيدة عندما اتجه إلى الاهتمام بالإشارة إلى تعامل الفرد مع المجتمع ، فأصبح التعريف يتضمن شعور الفرد بقيمته فى المجتمع ، ومبلغ أهميته فيه ومدى معرفة

الفرد لحقوقه وواجباته . وهذه الصبغة الاجتماعية فى تعريف الشخصية بجانب فكرة المرء عن نفسه ، ترتبط بمبلغ حاجة المجتمع إلى الفرد ، وهل هو مطلوب أو يمكن الاستغناء عنه ؟ وهل هو مهم أو لا أثر له ؟ وهكذا .

وقد ظهرت هذه النزعة فى تعريفى البرت (F. H. Allport) ، وماى (M. A. May) حيث يؤكدان فكرة تعامل الفرد مع المجتمع وقيمته من حيث تأثيره فى المجتمع ، وتأثر المجتمع به . وينظرون إلى الفرد كعامل فعال فى المجتمع ، وتقاس شخصيته بمبلغ اشتراكه فى نواحى النشاط المختلفة التى تؤدى إلى إحداث التغير والتطور فى هذا المجتمع .

الشخصية كمجموعة من الصفات :

إلى هنا كانت التعاريف فى جملتها وصفية عامة وليس لها فائدة إيجابية مباشرة لتوجيه البحث فى الشخصية . أما التعاريف القادمة التى تقوم على تحليل الصفات ومحاولة تجميعها فهى التى تلقى الضوء على عناصر الشخصية وتفيدنا من الناحية الدراسية فائدة مباشرة . ومن أمثلة ذلك تعريف مورتن برنس (Morton Prince) الذى يقول إن الشخصية « هى حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة ، وكذلك

الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة » .

وهناك تعاريف كثيرة من هذا النوع تبدأ كلها بفكرة مجموع أو حاصل جمع الصفات الداخلية والخارجية الموروثة والمكتسبة ، أو مجموع الصفات العقلية والجسمية والاجتماعية وهكذا .

ولكن هذه التعاريف القائمة على مجرد تعداد الصفات، والتى تنظر إلى حاصل جمعها فقط تحمل فى طياتها خطر اعتبار هذه الصفات وحدات منعزلة بعضها عن البعض ، أو أن كل عنصر منها وحدة قائمة بذاته . . ولكن الواقع خلاف ذلك تماما ، فالنظرة الحديثة للشخصية تعتبرها وحدة أو تنظيم كلى عام . إذ أن الكائن الحى أكثر من مجرد مجموع صفاته . . وكل صفة من صفاته لا يكون لها معنى إلا فى وجود باقى الصفات . والفرق بين النظرتين يوازى الفرق بين المخلوط والمركب فى الكيمياء ؛ فالمخلوط يمكن فصل مكوناته عن بعضها بسهولة ، وصفاته هى مجرد مجموع صفات العناصر الداخلة فى تركيبه . . بينما المركب الكيمائى ينتج لنا مادة جديدة لها خصائصها التى تخالف صفات مركباتها .

ولهذا استفادت التعاريف الجديدة من هذه الفكرة فأكدت أهمية التكامل ، ولذا أصبحت تبدأ بكون الشخصية عبارة عن تكوين عام أو تكامل منتظم لمجموعة صفات . . أو تركيب كلى . . أو وحدة . . . وهكذا .

التعاريف القائمة على فكرة التكامل والتفاعل الاجتماعى :

ثم أضيف إلى التعاريف ذلك العنصر الاجتماعي الذى يظهر فى تكييف الفرد لنفسه فى المجتمع وتعامله مع البيئة ومبلغ اندماجه فيها ، ومن أمثلة هذه التعاريف ما قاله كمف (Kempf) وهو أن « الشخصية هى تكامل مجموعات العادات التى تمثل خصائص الفرد فى تعامله مع المجتمع » .

وأخيراً نجد فكرة التميز أو الانفرادية تتخذ مكاناً بارزاً فى التعاريف كما فى تعريف شن (Schoen) حيث يقول :

« الشخصية هى التكوين المنتظم أو الوحدة العامة الناتجة من العادات والاستعدادات والعواطف التى تميز فرداً عن المجموع وتجعل منه وحدة مختلفة عن باقى وحدات المجموعة التى ينتمى إليها »

التعاريف الوافية للشخصية :

وإذا كانت التعاريف السابقة جميعها حتى الآن تهتم ببعض عناصر التعريف وتهمل البعض الآخر ، فمنها ما يهمل صفة التكيف الاجتماعى ومنها ما يهمل صفة التميز أو الأنفرادية ، فإن التعاريف الحديثة التى يؤخذ بها الآن تقوم على جمع الخطوات السابقة والاستفادة من جميع التعاريف بحيث نجدها وافية شاملة . ومن أمثلة ذلك تعريف أولبرت (G. H. Allport) القائل بأن :

« الشخصية هى التنظيم الديناميكى فى نفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية النفسية التى تحدد طريقته الخاصة للتكيف مع البيئة » .

وهذا لا يختلف كثيراً عن تعريف بيرت (Burt) القائل بأن : « الشخصية هى ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية ، الثابتة نسبياً ، التى تعتبر مميزاً خاصاً للفرد ، وبمقتضاها يتحدد أسلوبه الخاص للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية » . ويتضح من التعريفين السابقين ما يأتى : —

أولا : أن تعريف « أولبرت » يشير إلى فكرة الديناميكية فى الشخصية إشارة على التفاعل المستمر بين عناصرها . . كما أن تعريف « بيرت » يشير إلى فكرة « الثبات نسبياً » أى أهمية عناصر الشخصية التى لا تتغير كثيراً على طول الزمن ، فهذه هى الصفات التى يصح الاستناد عليها فى الحكم على الشخصية ، مثل هيئة الجسم والذكاء العام والصفات الموروثة أو المكتسبة التى لها صفة الدوام نسبياً .

ثانياً : كل من التعريفين يؤكد فكرة التكامل وكون الشخصية ليست مجرد مجموع الصفات ، وإنما وحدة الناتج منها ، فهى أكثر من مجرد حاصل الجمع .

ثالثاً : بعض الصفات الداخلة فى تكوين الشخصية بيولوجية

جسمية مثل لون الشعر وقوة الجسم والتركيب الغددى والعضلى .. وهكذا ، و بعضها صفات عقلية مثل الذكاء والانفعال والمزاج .

رابعاً : لم يهمل التعريفان أهميـة البيئة وأثر الصفات فى تـكيف الفرد وتفاعله معها ؛ ولذا لا يمكن دراسة الفرد منعزلاعن المجموع الذى يحيط به كما يتضح من إشارة « بيرت » إلى أهمية التكيف نحو البيئة المادية والبيئة الاجتماعية .

خامساً : يظهر فى كل من التعريفين فـكرة التميز التى تجعل كل فرد مختلفا عن غيره بحيث لايوجد اثنان متشابهان تشابها تاما . وهذا التميز هو فى نظر « أولبرت » الأساس الهام لمعنى الشخصية .

ومن كل ما سبق يمكن أن تدرك ما يأتى :

أولا : أن الشخصية وحدة ويجب دراستها كتنظيم كلى عام أو جشتالت (Gestalt) .

ثانياً : أنه إذا جاز لنا تحليل عواملها فإنما يكون ذلك بقصد التصنيف والدراسة فقط ، على أن نضع فى أذهاننا دائما فكرة اندماج العناصر وتفاعلها المستمر مع بعضها .

مراجع :

1. G. W. Allport : Personality ; A Psychological Interpretation.

2. L. P. Thorpe : Psychological Foundations of Personality

3. Sir Cyril Burt : The Assessment of Personality : The Egyptian Journal of Psychology.
Vol. I. Oct. 1946. No. 2.

(ولهذا البحث ترجمة باللغة العربيـة بمجلة « علم النفس » مجلد ٣) .

الفصل الثانى

مكونات الشخصية

إذا اقتنعنا بفكرة وحدة الشخصية وتداخل مكوناتها واستمرار تفاعل عناصرها مع بعضها أمكننا أن ندرك الصعوبة التى تواجهنا عند محاولة إحصاء هذه العناصر أو تصنيف هذه المكونات . ولكن لا بد لنا من رسم خطة عامة تحدد أركان الشخصية الرئيسية إذا ما أردنا دراستها أو الحكم عليها . فما هى إذن أهم النواحى التى يصح أن تؤخذ فى الاعتبار عند ما نود أن نصف شخصية ما بالقوة أو الضعف أو بأنها شخصية سوية أو منحرفة أو بأنها شخصية متكاملة أو مفككة ؟ هناك اعتبارات كثيرة يمكن أن تتخذ أساساً لذلك، فيصح أن نجمع الصفات المختلفة مبوبة بحسب الموروث منها والمكتسب ، أو بحسب الشعورى منها واللاشعورى ، أو بحسب الصفات الجسمية والعقلية . . وهكذا .

وقد أخذ كاتل (Cattell) بهذه الاعتبارات جميعها فى تقسيمه للشخصية إلى وحداتها الأولية فى كتابه «وصف وقياس الشخصية» حيث وضع هذه الوحدات فى جدول كالآتى : —

	وحدات تكوينية (موروثه)	وحدات مكتسبة من البيئة	
العوامل الديناميكية	١ — الدوافع والرغبات والحاجات	٤ العواطف والاتجاهات العقلية	
العوامل المزاجية	٢ — الصفات الانفعالية والمزاجية	٥ — الصفات الخلقية	
العوامل المعرفية	٣ — الذكاء والمواهب الخاصة كالذاكرة والقدرة الموسيقية	٦ — المهارات المكتسبة والمعلومات العامة	
		شعورية	لاشعورية

وقد مضى « كاتل » فى شرحه وتقسيمه لهذه الوحدات الست الرئيسية إلى فروعها وعواملها بشىء من التفصيل ، إلى أن وصل لوضع قائمة طويلة للصفات التى يصح دراستها للحكم على الشخصية حكما شاملا من جميع النواحى ، ووصل عدد هذه الصفات فى القائمة المذكورة إلى ١٧١ صفة .

ولكن مما يؤخذ على تقسيم كهذا إهماله التام للنواحى الجسمية ، ونظرته إلى الشخصية بمعناها المحدود و بما يقع فى دائرة علم النفس وحده .

ويلاحظ أن كثرة الصفات والقوائم الطويلة التى يلجأ إليها بعض العلماء فى دراسة الشخصية لا تفيد كثيراً فى إعطاء صورة سريعة للشخصية و إن كانت تفيد من يريد القيام بأبحاث إحصائية بقصد دراسة الصفات التى تتمشى مع بعضها البعض ، والتى تتعاون فى

تكوين أنماط السلوك وأنواع الشخصيات المختلفة .

وإذا فحصنا القوائم الكثيرة التى يضعها العلماء المختلفون لمكونات الشخصية فإنا نجدها — وإن اختلفت فى ظاهرها من حيث العدد والاسترسال فى التفاصيل — غالبا تتفق على الأبعاد الرئيسية التى ينبغى ألا تغفل فى أى تقسيم أو تصنيف وهى : —

(ا) النواحى الجسمية .

(ب) النواحى العقلية المعرفية (Cogni tive) .

(حـ) النواحى المزاجية (Temperamental) .

(ء) النواحى الخلقية (Character) .

(هـ) ومن المهم أن ننظر إلى الأركان الأربعة السابقة فى ضوء البيئة الاجتماعية والوسط العام الذى يحيط بالشخصية المراد دراستها .

ويختلف الباحثون فى الشخصية فى نظرتهم للأهمية النسبية لهذه النواحى ؛ فنجد علماء النفس التربوى مثلا يولون اهتماما خاصاً للنواحى العقلية المعرفية ؛ كالذكاء والقدرات التحصيلية ، بينما علماء النفس الطبى يولون للنواحى الجسمية والانفعالية والمزاجية اهتماما أكبر فى نظرتهم إلى الشخصية ، وكذلك علماء النفس الجنائى والباحثون فى الإجرام يؤكدون أهمية النواحى الخلقية والاجتماعية . . وهكذا .

وقد يكون من المفيد أن نضع تخطيطا عاما لمكونات

تخطيط عام لدراسة مكونات الشخصية

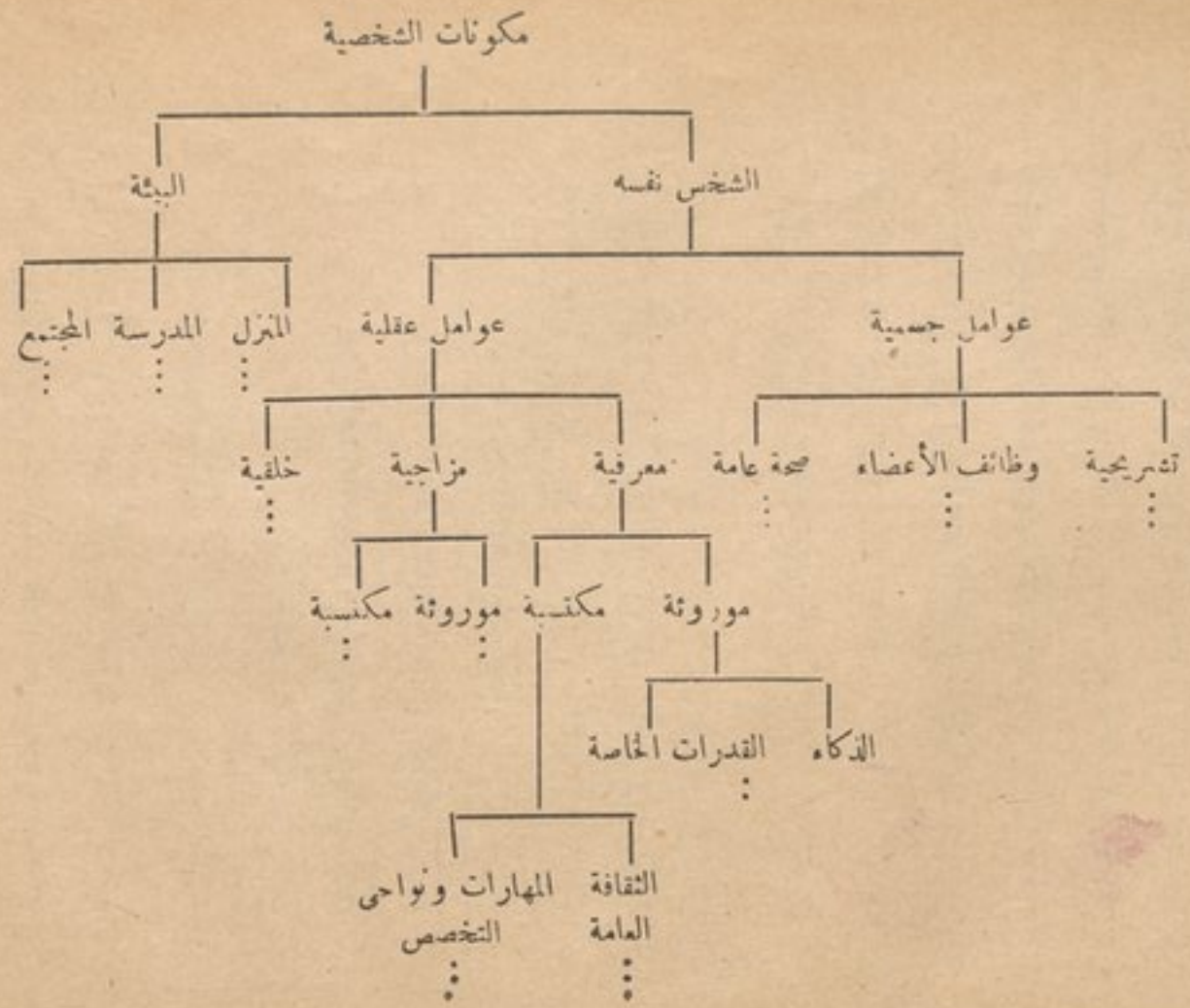

الشخصية وعواملها الفرعية فى شكل يسهل إدراك وحدتها وتحليلها عند الدراسة والبحث كما فى التنظيم المبين على صفحة ١٦ .

وينبغى أن نؤكد هنا أهمية تداخل هذه العوامل جميعها ، وتفاعلها المستمر ، بحيث ينتج منها جميعا تركيب عام يميز الفرد ويجعل منه شخصية فريدة .

هذا ومن الممكن أن نستمر فى التحليل عند كل ناحية من نواحى الشخصية ، فنقسم العوامل المنزلية مثلا إلى : علاقة الفرد بباقى أفراد المنزل ، وتأثير الوسط المنزلى من النواحى الثقافية والخلقية . . الخ . ويمكن بنفس الأسلوب أن نقسم النواحى الجسمية من حيث وظائف الأعضاء إلى حالة الجهاز العصبى ، وتأثير الغدد الصماء ، وحالة الجهاز الهضمى . . . الخ . وكذلك فى المهارات المكتسبة التى يمكن تقسيمها إلى نواحى التخصص الدراسى ونواحى التخصص المهنى وما ينطوى تحت كل منها من صفات لا ينكر أثرها فى تكوين الشخصية . . . وهكذا .

ويمكن بصفة عامة أن يفيدنا هذا التخطيط العام فيما يأتى :

أولاً : يسهل على الباحث الاجتماعى أو أى إخصائى يهمه دراسة الحالات (Case study) أو تحليل شخصية أحد الأفراد — طفلا كان أو رجلا ، عاديا أو شاذاً — فى تنظيم عمله وترتيبه .

فإذا أردنا دراسة حالة طفل منحرف أو متهم بجريمة فيمكن أن نتخذ هذا التقسيم أساسا لهذه الدراسة . و إذا كنا بصدد تصميم بطاقة مدرسية لتكون سجلا لحالة كل تلميذ فى حياته المدرسية فيصح أن نستعين بهذا التخطيط حتى لا نغفل ناحية من النواحى التي قد تكون ذات أثر هام فى الحكم على الشخصية عند توجيه التلميذ تعليمياً أو مهنياً .

ثانياً : يوضح هذا التخطيط أهمية العلاقة بين علم النفس و باقى العلوم البيولوجية والاجتماعية الأخرى ، وتعاون هذه العلوم المختلفة، وترابط ميادين الدراسة فيها، وتداخلها بشكل يجعل الإحاطة بها جميعا أمراً واجباً لكل من يتعرض لدراسة الشخصية فى أى صورة من صورها . فمثلا عوامل البيئة من حيث المنزل والمدرسة والمجتمع يمكن فهم آثارها على الشخصية من فهمنا لمبادىء علوم الخدمة الاجتماعية والتربية والاجتماع والأنثروبولوجيا (Anthropology). والعوامل الجسمية تتطلب الإلمام بعلوم التشريح والفسيولوجيا (Physiology) والصحة العامة والعلوم الطبية بصفة عامة . وطبيعى أن العوامل العقلية هى ميدان علم النفس الذى لا غنى له عن التعاون مع هذه العلوم جميعا .

الفصل الثالث

النواحى الجسمية

لا يجوز أن نغفل ما للتكوين الجسمى سواء من حيث التشريح أو وظائف الأعضاء أو الصحة العامة من أثر فى الشخصية بوجه عام . فقد أثبتت الأبحاث صحة المثل القائل : « إن العقل السليم فى الجسم السليم » .

وبعض الباحثين فى الشخصية يهمل أحيانا هذا الركن الهام من أركان الشخصية برغم ارتباطه الوثيق بالنواحى الانفعالية والمزاجية التى تعتمد فى أساسها على التركيب الكيمائى والغددى والدموى ، وبرغم تأثر النواحى الخلقية بكل ذلك . ولعل السبب فى إهمال هذه الناحية لمن يدرسون سيكلوجية الشخصية وقوعها فى دائرة علوم التشريح والطب ، ووضوح أهميتها لدرجة تجعلها أمراً بديهياً مسلما به . وطبيعى أن يكون لهذه العوامل تأثير واضح فى كثير من الحالات المرضية كما فى الأمراض التى تنتج من إصابات الجهاز العصبى أو اضطراب وظائفه؛ ويقل وضوح تأثير هذه العوامل

عند دراستنا للشخصيات العادية السليمة حيث يقل نسبياً تأثير الاختلافات الفردية فى هذه النواحى الجسمية .

ولـكن هذا لا يمنع من ذكر بعض العوامل الجسمية على سبيل المثال لنعرف كيفية تأثر الشخصية بها ومن ذلك ما يأتى :—

١ — النمو الجسمى .

٢ — حالة الغدد الصماء .

٣ — المظاهر الحركية .

٤ — العاهات والأمراض الجسمية .

النمو الجسمى :

ويتبعـه حالة الجسم من حيث القامة والهيئـة وتوافق النمو الجسمى مع النمو العقلى والاجتماعى . فـكثيراً ما نلجأ فى أحكامنا على الشخصية إلى معرفة العمر الزمنى الذى أمكن للشخص فيه أن يمشى أو يتكلم ، أو التاريخ الذى تم عنده البلوغ والنضوج الجنسى ؛ فمثل هذه النواحى من مظاهر النمو الجسمى تلقى كثيراً من الضوء على سمات الشخصية التى يراد بحثها . وهناك علامات جسمية خاصة فى أجزاء مختلفة من الجسم يمكن بها أن نعرف العمر التشريحى للشخص (Anatomical age) كمعرفة السن الذى تحولت فيه الغضاريف إلى عظام في منطقة الرسغ مثلا . . . وهكذا .

أثر إفرازات الغدد الصماء فى الشخصية :(Endocrine glands)

وليس لهذه الغدد قنوات و إنما تصب إفرازاتها فى الدم مباشرة . ولها تأثير كبير على النمو الجسمى والحركى والتغير الانفعالى وما يتركه ذلك فى اتزان الشخصية أو انحرافها من آثار .

غدة الأدرنالين : (Adrenal) أو الغدة فوق الكلية : وتفرز أنواعا من الهورمونات لها أثرها فى مظاهر الحياة الانفعالية فى الشخصية ، وما يصاحب الانفعال من تغيرات جسمية ذات قيمة بيولوجية تساعد على مواجهة المواقف والأخطار .

وعلى تنظيم وظيفة هذه الغدة وغيرها من الغدد بتأثير الجهاز العصبى السمباثوى والباراسمباثوى يتوقف استمرار أو انتهاء الآثار الانفعالية التى بها تحدث الحالات المزاجية غير الثابتة التى تسمى (Moods) وما يتبعها من تغيرات دورية بين الهبوط والنشاط ، أو بين التفاؤل والتشاؤم ، أو الشعور بالسرور والشعور بالبؤس والحزن . . وهكذا .

الغدة الدرقية : (Thyroid) ومكانها على جانبى القصبة الهوائية عند الحنجرة ، و إفرازاتها تؤثر على تنظيم بناء خلايا الجسم ، ولها إذن تأثير على سرعة النمو والنضوج عند المشى أو الكلام . . وقد يقل إفرازها بدرجة تنتج لنا نوعا خاصاً من الشخصية التى تتميز

بالخمول وضعف الحيوية وهبوط المستوى العقلى . . ومن الأمثلة لذلك حالات الأطفال المصابين فى طفولتهم بضمور هذه الغدة أو ضعفها لدرجة يصل بها مستواهم العقلى إلى درجة تجعلهم من طائفة ضعاف العقول . . ويعرف هذا النوع من الضعف العقلى بالكريتنزم (Cretinism) . ومن الممكن علاج هذا النوع من الضعف العقلى طبيا إذا اكتشفت الحالة فى وقت مبكر .

أما إذا زاد إفراز هذه الغدة عن الحد الضرورى فإن الشخصية تتميز بالقلق والاضطراب، وعدم الثبات وسرعة الاستثارة ، وصفات الشخصية « العصبية » وما يتبع ذلك من نحول وخفة فى الوزن .

الغدة النخامية : (Pituitary) ومكانها فى قاع المخ وتعتبر منظمة ومحركة لباقى الغدد حيث نجد لإفرازاتها آثاراً عليها جميعا . فلها هورمونات تؤثر فى النمو وطول القامة أو قصرها ، وإفرازات تتعادل مع إفرازات الغدد التناسلية فتؤثر على النضوج الجنسى ، وإفرازات تؤثر فى بناء أنسجة الجسم فترتبط بذلك مع الغدة الدرقية . . وهكذا . ومن أنواع الشخصية الظاهرة التى يدخل فيها أثر هذه الغدة . طوال القامة بسبب نمو العظام ، أو من يكونون على درجة كبيرة من قصر القامة مع السمنة المفرطة المصحوبة بالضعف الجنسى وتوزيع الدهن على أجزاء معينة من الجسم . . وهكذا . .

الغدد التناسلية : (Sex) وهى المسئولة عن التحكم فى نضوج وعمل الأجهزة التناسلية ، ومظاهر الرجولة أو الأنوثة وعلاماتها التى تؤثر تأثيراً ظاهراً فى نوع الشخصية . وإلى نشاط هذه الغدد وإفرازاتها يرجع وجود صفات الأنوثة التى قد تصل إلى درجة كبيرة من التخنث عند بعض الذكور ؛ ووجود صفات الرجولة التى تصل أحيانا لدرجة ظاهرة فى بعض الإناث ؛ وما يصاحب ذلك من أثر فى طابع الشخصية العام وأسلوبها فى الحياة .

وقد يحدث عن اضطراب إفرازات هـذه الغدد حدوث البلوغ مبكراً وقبل الأوان ، ويكون ذلك فى الغالب بسبب الزيادة المفرطة لإفرازات هذه الغـدد المصحوب بضمور أو ضعف فى إفرازات الغدد الأخرى بحيث لا تتوازن إفرازاتها ؛ وطبيعى أن الشخصية فى هذه الحالة تتأثر فى جملتها بسبب عدم تناسب النمو الجنسى والانفعالى مع النمو الجسمى ، وما قد يؤدى إليه ذلك من إشباع الميل الجنسى بطرق غير مشروعة ؛ ويقال إن هناك حالات حدث فيها البلوغ عند سن السابعة . . وحالات حدث فيها البلوغ عند سن الرابعة ! ! وعلى النقيض من ذلك قد يحدث أن يتأخر موعد البلوغ عن أوانه المعتاد بسبب عدم كفاية الإفرازات الداخلية أو هورمونات الغدد التناسلية ، وطبيعى أن يبقى الشخص رغم كبر

سنه متصفاً بصفات فيها مظاهر الطفولية ، فتجد هذا النوع من الرجال صغاراً فى تصرفاتهم ، ولا يستطيعون بسهولة أن يكيفوا أنفسهم فى الوسط المحيط بهم حيث تتغير النظرة إليهم لما يبدو عليهم غالبا من صفات أقرب إلى الأنوثة منها إلى الرجولة . ويلاحظ فى مثل هذه الحالات أن غدتى الطفولة وهما الغدة التيموسية (Thymus) والغدة الصنوبرية (Pineal) تظلان فى حالة نشاط مستمر ، إذأن حدوث البلوغ يصحبه عادة ضمور هاتين الغدتين ، لأن عملهما مضاد لعمل الغدد التناسلية .

ويجب أن نضع فى أذهاننا عند بحث آثار الغدد الصماء على الشخصية أن نشاط الغدد جميعها متداخل ، وأن أى أعراض من التى سبق ذكرها يمكن أن ترجع لأكثر من غدة من الغدد السابقة ، ولهذا فإن الحكم النهائى على نشاط هذه الغدد وأثرها يجب أن يترك للإخصائيين .

أثر المظاهر الحركية فى الشخصية :

تتوقف هذه المظاهر الحركية على عوامل جسمية وعوامل عقلية فى آن واحد ؛ فسرعة الحركة أو بطؤها والاندفاع أو القدرة على التحكم فى الحركات ، والتوافق الحركى سواء فى المشى أو الكتابة أو القيام بأعمال يدوية تحتاج لمهارات خاصة ، كلها تتوقف على مايتكون بين

الجهاز العصبى والعضلى و بين عمليات الإحساس والإدراك والانتباه من ارتباطات، وما يحدث للشخص من تغيرات انفعالية ومزاجية .

وللنواحى الحركية أهمية كبيرة فى الحكم على الشخصية لأنها من العوامل الظاهرة الممكن ملاحظتها بوضوح ، ولهذا يقال أحيانا إن من الممكن أن نميز نوع شخصية الناس من حركاتهم وكلامهم وإشاراتهم وطريقة نومهم أو جلوسهم وغير ذلك من المظاهر الحركية؛ فالشخص المضطرب الانفعال المتغير المزاج يكون مضطرباً فى حركاته ومرتبكا فى مشيته وطريقة كلامه ، والشخص الهادىء المتزن نجده متزنا فى مشيته وحديثه وحركاته . وهكذا . . . وفى بعض الأمراض العقلية تُتخذ الأعراض الحركية مقياساً مساعداً لتشخيص الحالة المرضية ، ومن أمثلة ذلك الحركات النمطية والحركات العنادية أو الجمود الحركى فى أوضاع حركية معينة بدون سبب مفهوم، وغير ذلك ، كما فى المرض العقلى المسمى « بالفصام الكتاتونى » (Catatonic Schis ophrenja).

أثر العاهات والأمراض الجسمية فى الشخصية :

العاهات من أبرز العوامل التى تميز صاحبها فى شخصيته تبعا لنوع العاهة وما تحدثه من شعور بالنقص إزاء الغير ، وبحسب ما يحدث بسببها أحيانا من تقليل الفرص أمام الشخص، سواء من حيث كسب الخبرة الحسية كما فى عاهات الحواس ، أو من حيث الانتقال

والحركة كما فى عاهات الأطراف . . . وغنى عن الذكر ما تحدثه العاهات الناتجة من حوادث الإصابة فى المخ أو أى جزء آخر من أجزاء الجهاز العصبى من شذوذ وتأثير بالغ فى الشخصية عموما . ولا يفوتنا أن نشير إلى ما قد تحدثه بعض العاهات من أثر تعويضى حيث تبرز فى الشخصية نواح تساعد صاحبها على النجاح أو الظهور مما ينطبق عليه المثل القائل « كل ذى عاهة جبار » .

أما الأمراض وخصوصاً المزمنة منها فأثرها قد يكون أبعد من تأثير العاهات فى تكوين الشخصية ؛ إذ أن الأمراض عادة تتناول الجسم كله ، وتؤثر على الشخصية بأجمعها من حيث استغلال الطاقة الجسمية والعقلية وتوجيهها . . ويضاف إلى ذلك أن بعض الأمراض لا يكون ظاهراً فيشعر به الغير ؛ ولذا لا يستدر الشفقة أو العطف من المحيطين بالشخص كما يحدث فى حالات العاهات الظاهرة ، ولذلك فإن تأثير الأمراض فى تكوين الشخصية لا يقل فى أهميته عن أى عامل آخر .

ومن كل هذا يتبين أن الحكم الصحيح على الشخصية يجب أن يشمل النواحى الجسمية خصوصاً فى دراسة الشخصيات المرضية أو الشاذة ؛ فكثيراً ما تلقى هذه العوامل الجسمية الضوء على النواحى النفسية والعقلية للشخصية .

الفصل الرابع

النواحى العقلية المعرفية

إن نواحى الشخصية العقلية ، ومركباتها النفسية ، من حيث القدرات والمواهب والعوامل المزاجية والصفات الخلقية هى ميدان علم النفس الحقيقى ؛ والدراسة التفصيلية لهذه النواحى يمكن أن تطول وتتشعب حتى تشمل علم النفس بأكمله . وتسهيلا للبحث كالمعتاد نلجأ إلى تقسيم هذه النواحى العقلية إلى : النواحى المعرفية ، والنواحي المزاجيـة ، والنواحى الخلقية . وسأتناول الآن أثر النواحى العقلية المعرفية فى تكوين الشخصية . .

من حسن الحظ أن هذا الركن من أركان الشخصية هو أكثر النواحى وضوحا وتحديداً نظراً للدراسات الـكثيرة التى تمت فى محيطه ؛ فالحياة العقلية المعرفية أكثر خضوعا للقياس والتحديد من الحياة المزاجية أو الخلقية .

ونظراً لهذا الوضوح ، وللنتائج الثابتة نسبياً التى وصل إليها علماء النفس فى هذه الناحية ، فإن عدداً كبيراً من الباحثين حديثا

فى موضوع الشخصية يمر على هذه الناحية مروراً سريعا باعتبار أن حقائقها قد أصبحت أمراً معلوما للكثيرين .

والمقصود بالنواحى المعرفية تلك العمليات والعوامل العقلية التى يتوقف عليها كسب المعرفة والخبرة بما تشمل من إدراك وتصور وتخيل وقدرة على التذكر والتفكير والتعلم ، وبما يتطلبه كل ذلك من ذكاء عام ومواهب أو قدرات خاصة .

ويمكن فى دراستنا للشخصية أن ندرس هذه النواحى المعرفية من حيث : (ا) العمليات العقلية وتدرج مستوياتها من البسيط إلى المركب ، أو : (ب) من حيث تقسيم القدرات العقلية إلى عوامل عامة وطائفية ونوعية .

(ا) العمليات العقلية ومستوياتها

أما من حيث المستويات فقد دلت الأبحاث النفسية على أن هناك ارتباطا كبيراً بين النواحى الجسمية والحركية والنواحى الإدراكية والمعرفية ، وأن هناك نوعا من التدريج يوضح تداخلها وتعاونها دائما بحيث يصعب أن نجد بينها حدوداً فاصلة ؛ لأن الشخصية كلها وحدة متكاملة كما سبق القول . ويمكن أن نلمس هذا التدريج فى المستويات الآتية : —

١ — المستوى الحسى الإدراكى (Sensori - Perceptual revel)

٢ — المستوى الإدراكى الحركى (Perceptu - Motor level)

٣ — المستوى الترابطى (Associative Level)

٤ — مستوى إدراك العلاقات (Relational level)

المستوى الحسى الإدراكى :

ويشمل العمليات العقليـة التى تتعلق بالإبصار والسمع ، والذوق والشم ، وباقى الحواس الأخرى ، وما يتصل بهـا من مسالك عصبية تساعد على وصول الإحساسات إلى المراكز المخية لإدراكها وتمييزها . ويختلف الناس فى استجاباتهم الحســـية الإدراكية من حيث السرعة والبطء ، ومن حيث الوضـوح والغموض . وتقاس الاختلافات بين الأشخاص فى هذه النواحى بوسائل مختلفة مثل قياس زمن الرجع (Reaction time) وهو الزمن الذى يمضى بين حدوث المؤثر والرد عليه ، كما تقاس أنواع الإحساسات بما يناسب نوعها بصرية كانت أو سمعية أو لمسية ... وهكذا . ويرتبط بهذا المستوى ما يكون لدى الشخص من قدرة على الانتباه والملاحظة ، وإن كانت هذه ترتبط أيضاً بعوامل أخرى فى الشخصية .

المستوى الإدراكى الحركى :

ويشمل الاستجابات الحركية المبنية على الإدراك كالتوافق الحركى فى عملية الإبصار وتكييف العين ، أو أوضاع الرأس المناسبة لاستماع الأصوات بحسب مصادرها . أو حركة الأطراف عند الاستجابات الإدراكية المختلفة ، وما ينطوى تحتها من مهارات يدوية وتوافق حركى .

ويلاحظ أن هذه الاستجابات جميعا — مع وضوح العنصر الجسمى فيها — مبنية على عمليات عقلية ؛ ولهذا يصح أن نعالجها كناحية عقلية معرفية ، ففى أغلب الحالات نجد أن التغيرات الحركية مظاهر لتغيرات عقلية . وهنا يتبين جيداً أن من الصعب أن نفصل بين النواحى الجسمية والنواحى العقلية .

المستوى الترابطى :

ويظهر أثر النواحى العقلية بوضوح أكثر عند ما نحاول تحليل العمليات العقلية فى المستوى الترابطى ، وهى التذكر والتصور ، وتداعى المعانى ، والتخيل والوعى والحفظ ، وتكوين العادات المعرفية . فإدراكنا للجديد يتبعه عادة حدوث ارتباطات مع ما فى الذهن من مجمعات عقلية تكونت فى الماضى من الخبرات السابقة . . وهذه المجمعات تجتذب إليها المدركات الجديدة ،

وبهذا التفاعل المستمر يتم الاختيار الذى يقوم به العقل فى انتقاء ما يدور فى مجال السلوك من مدركات مختلفة . ويختلف الناس كثيراً فى مقدراتهم الترابطية ، وكلنا يعلم الفروق الفردية فى التذكر والنسيان ، وفى سرعة استحضار الصور الذهنية المرتبطة بمثيرات خاصة . وليس هذا فقط ، بل يختلف الناس أيضا فى تفكك محتويات عقولهم أو تماسكها ، وما يتبع ذلك من تفكك أو تسلسل فى أفكارهم وتعبيراتهم .

ومما يجدر معرفته فى هذا المستوى بالنسبة لدراسة الشخصية اختلاف الناس فى نوع مخيلاتهم التى تسهل عليهم عمل الترابطات اللازمة للتذكر أو الحفظ ؛ فمن الناس من يكونون بصريين ، ومنهم من يكونون سمعيين ، ومنهم من يكونون حركيين ، وهكذا على حسب الناحية القوية فيهم من حيث القدرة على التخيل . ويتضح هذا الاختلاف من الأمثلة الآتية : — هناك أشخاص يفكرون بصور بصرية غالبا ، وعند ما يحفظون أو يستذكرون يعتمدون على الإدراك والتخيل البصرى عند التذكر ، فيتذكرون العبارات بمكانها فى السطر أو الصفحة مثلا . بينما نجد أشخاصاً آخرين يميلون إلى التفكير بصور سمعية ، ويفضلون أن يستمعوا بآذانهم ، وأن يتصوروا النغمة والأصوات

التى سمعوها عند محاولة التذكر ، بل إن بعض الناس يوجد عندهم التخيل الحركى بوضوح فى أفكارهم وتصوراتهم . . ويمكن أن نعرف هذه الأنواع من الشخصيات بأساليبهم فى الكتابة أو فى الحديث . . فإذا طلبت من ثلاثة أشخاص أن يشرحوا لك ما حدث فى حفلة ساهرة مثلا فإن النوع البصرى سيغلب على حديثه ما رأى وما يتصوره بصرياً من ألوان الملابس والأنوار وأوصاف الأشخاص من أماكن جلوسهم وهكذا ، بينما تجد النوع السمعى يصور لك الحفلة بطريقة تغلب فيها الصور السمعية للموسيقى أو الغناء ، أو أصوات الحاضرين ، أو ما كان هناك من ضوضاء وسكون . . وأما النوع الحركى فيستعين بيديه وحركاته مقلداً ما حدث من حركات وانتقالات ، وإشارات حركية وهكذا ؛ على أن هذه الأنواع من الشخصيات لا تظهر بوضوح إلا فى الحالات الظاهرة كما فى أعراض الأمراض العقلية المختلفة. ولكن أغلب الناس العاديين لديهم هذه القدرات المختلفة بنسب يصعب فيها تمييز نوع الشخصية التى ينتمون إليها .

مستوى إدراك العلاقات :

فى هذا المستوى من العمليات العقلية نجد أيضا حدوث ارتباطات كما فى العمليات العقلية فى المستوى السابق ، ولكن الارتباط فى هذه المرة لا يحدث بطريقة ميكانيكية وإنما يحتاج

لإعمال العقل فى إدراك العلاقات بين المترابطات ، وفى تكوين علاقات جديدة ليستفيد بها العقل . ويتضح هذا فى العمليات العقلية الخاصة بالتفكير والاستنتاج ، واستخلاص النتائج من المقدمات ، والتخيل والابتكار .

وطبيعى أن العقل فى هذا المستوى يعتمد على جميع العمليات العقلية فى المستويات السابقة أيضاً ، بل إن إدراك العلاقات قد يحدث أيضاً فى أحد المستويات السابقة ، إذ أن الإدراك الحسى يعتبر إدراك علاقة بين المحسوسات ومدلولاتها ؛ وتكوين العادات الحركية أو المهارات اليدوية يعتمد فى أساسه على تكوين علاقات معينة وعمل ارتباطات ثابتة بين سلسلة من الخبرات . وهكذا يمكن أن ندرك أن أية ظاهرة نفسية يمكن أن تظهر بدرجات مختلفة فى المستويات العقلية المختلفة .

ويمكن أن ندرك أهمية العمليات العقلية فى هذا المستوى فى تكوين الشخصية إذا علمنا مبلغ الاختلافات الفردية فى القدرة على التفكير والابتكار ؛ فمن الناس من يتبع خطوات بطيئة مرتبة صريحة فى تفكيره ، ومنهم من يعتمد فى تفكيره على الإلهام والخطوات الضمنية ، ومنهم من لا يحسن التفكير إلا فى مجال ضيق الأفق ، ومنهم من يستطيع الإلمام بأطراف الموقف ويستعرضه كله بوضوح وجلاء ، وهكذا .

على أن أهم ما يمكن أن ننظر إليه فى هذا المستوى هو القدرة على تقدير الجمال وما ينطوى تحت هذه القدرة من اختلافات فردية ؛ فهناك من يهتمون فى نظرتهم الجمالية بالحقيقة الواقعة ، أو ما يلمسونه بحواسهم ، ويقابل هؤلاء فريق خيالى ينساق فى أحكامه وتقديراته للجمال على ما يستثار فى نفسه من عواطف وانفعالات وخيالات ، وهناك من يبدعون فى الابتكار الفنى التعبيرى كالموسيقيين والمصورين والشعراء ، ومن توجد عندهم المقدرة على تقدير الجمال وتذوقه بدون أن يكونوا أنفسهم فنانين . . وهكذا . .

هذا ويظهر أثر الذكاء فى هذا المستوى بوضوح كبير لدرجة أن سبيرمان (Spearman) عرف الذكاء بأنه القدرة على إدراك العلاقات واستنتاج علاقات جديدة أو إدراك المتعلقات . ولكن ينبغى أن ننظر للذكاء نظرة أوسع بحيث يشمل جميع المستويات السابقة . فهو القدرة الفطرية المعرفية العامة التى يمكن الاستفادة بها فى جميع العمليات العقلية .

(ب) القدرات العقلية المعرفية

يولد الناس جميعاً مزودين بنفس الأنواع من العمليات العقلية التى رأيناها فى المستويات السابقة ، ولكنهم بجانب ذلك يزودون

بقدرات متفاوتة ، ومواهب مختلفة من حيث الدرجة ؛ ولهذا نجد أنه مع ما لجميع الأفراد من الحق الطبيعى فى التمتع بالحياة بكل ما فيها ، إلا أن ما ركب فى نفوسهم من استعدادات مختلفة يجعل من المستحيل أن تتساوى الفرص التى تتاح لكل منهم ؛ ومع ما لكل فرد من الحق فى التعليم إلا أن من الخطأ أن نتجاهل الفروق الفردية وأن نعطى الجميع نفس النوع من الدراسة والتثقيف . فمبدأ تكافؤ الفرص إذن يخضع لشرط ضرورى جداً ، وهو وجود الدرجة الكافية من الاستعداد الفطرى ، وتوافر القدر اللازم من القوي والقدرات العقلية ، بحيث يصح أن تتكافأ الفرص إذا تساوت الاستعدادات والمواهب .

ولكن ما هى هذه الاستعدادات أو القدرات العقلية التى تتحكم فى مدى ما يمكن المرء أن ينال من فرص فى هذه الدنيا ؟

من المهم أن نجيب عن هذا السؤال فى هذه المناسبة خصوصاً أن هذه القدرات والمواهب هى التى تحدد المستوى الممكن أن تصل إليه الشخصية من حيث المركز الثقافى والاجتماعى ، ومايحتمل أن تتصف به الشخصية من حيث الأسلوب العام فى الحياة .

من الممكن — لتسهيل دراسة هذه القدرات — أن نقسمها كما يأتى : —

أولا : القدرات المعرفية الفطرية وتشمل :

(ا) القدرة العامة أو « الذكاء » .

(ب) القدرات الطائفية أو « القدرات الخاصة » .

ثانياً : القدرات المعرفية المكتسبة وتشمل :

(ا) الثقافة العامة عند الشخص .

(ب) الثقافات الخاصة أو أنواع التخصص الدراسى والمهنى .

وسأتناول هذه القدرات بشىء من التفصيل فى الفصول القادمة .

الفصل الخامس

الذكاء

الذكاء حسب وضعه فى التخطيط العام لمكونات الشخصية ، هو القدرة المعرفية الفطرية العامة . ومعنى ذلك أنه من صفات الشخصية العقلية الثابتة نسبياً ، والتى يولد بها الشخص وتبقى معه طول حياته فى حدود ما خلق به . وكون الذكاء قدرة عامة — أى تتوقف عليه جميع العمليات العقلية فى المستويات السابق ذكرها جميعها — يجعله ذا أهمية خاصة كدعامة من دعامات الشخصية ، فهو فى الواقع سلاح الشخصية فى التصرف والتكييف ، والتحكم فى النزعات والدوافع الفطرية ، والتوفيق بينها وبين تقاليد البيئة ومقتضياتها ؛ وعلى قدر ما يكون لدى الشخص من ذكاء تكون قدرته على الاستفادة بما حوله من تسهيلات ، وقدرته على اختيار ما يصلح له من خبرات ، وتعلم ما ينبغى أن يتعلمه من ذلك المحيط الواسع الذى يكوّن مجال حياته . فالشخص الذكى يستطيع أن يدرك أهمية الاحتفاظ بصحته الجسمية ووقايتها من الأمراض ، ويستطيع أن يعمل على تهيئة الظروف الاجتماعية

المحيطة به بما يساعد على تحسين مستواه واستكمال نواحى النقص فى شخصيته . بينما الشخص الغبى لا يمكّنه قصوره العقلى من هذا ، بل كثيراً ما يسوقه ضعفه العقلى إلى ما يحط من شأنه وما يزيد فى انحلال شخصيته وشذوذها .

ونظراً لأهمية هذا العامل الرئيسى أو القدرة العامة — لا فى حياة الأفراد وحدهم بل فى حياة الجماعات أيضاً — فقد وجهت العناية لقياس الذكاء فى أوائل القرن الحاضر ، فكثرت اختباراته وتنوعت ، وقام العلماء بتجريبها وتطبيقها فى ميادين كثيرة إلى أن وصلت اليوم لدرجة كبيرة من الإتقان ، بحيث يمكن الاعتماد عليها فى تمييز طبقات الذكاء المختلفة بكثير من التحديد ، خصوصاً فى حالات نقص الذكاء أو ارتفاع نسبته بدرجات كبيرة .

وتوجد بمصر الآن اختبارات صالحة للاستعمال وتم تطبيقها فعلا بنجاح كبير فى المحيط التعليمى[1] ، ويمكن متابعة الجهود لتصير مئات الاختبارات المتنوعة فى القياس العقلى لمختلف الأفراد فى مراحل النمو المختلفة ، كما هو متبع الآن فى جميع البلاد الراقية حيث يوثق باختبارات الذكاء وقيمتها فى ميادين التوجيه التعليمي ، والتوجيه المهنى ، والاختيار فى فروع الجيش المختلفة ، وفى كل أمر نحتاج فيه إلى تقدير الشخصية من حيث الاستعداد العقلى .

---

(١) انظر كتاب قياس الذكاء للأستاذ اسماعيل القبانى بك .

ويهمنا هنا أن نعرف أنواع الشخصية من حيث الاختلاف فى الذكاء ومبلغ تأثير ما لدى الأفراد من هذا الذكاء فى تحديد مدى نجاحهم فى الحياة . ولقد دلت البحوث الإحصائية على أن توزيع الذكاء فى بنى الإنسان يتبع بصفة عامة المنحنى الاعتيادى حيث نجد الأغلبية فى وسط المنحنى من العاديين فى الذكاء ، ثم يتدرج التوزيع على الجانبين إلى أن نجد أقلية من العباقرة فى طرف ، وأقلية من ضعاف العقول فى الطرف الآخر ، وبين هذين الطرفين نجد طبقات متدرجة لمستويات الذكاء المختلفة كما يتضح من التوزيع الآتى : —

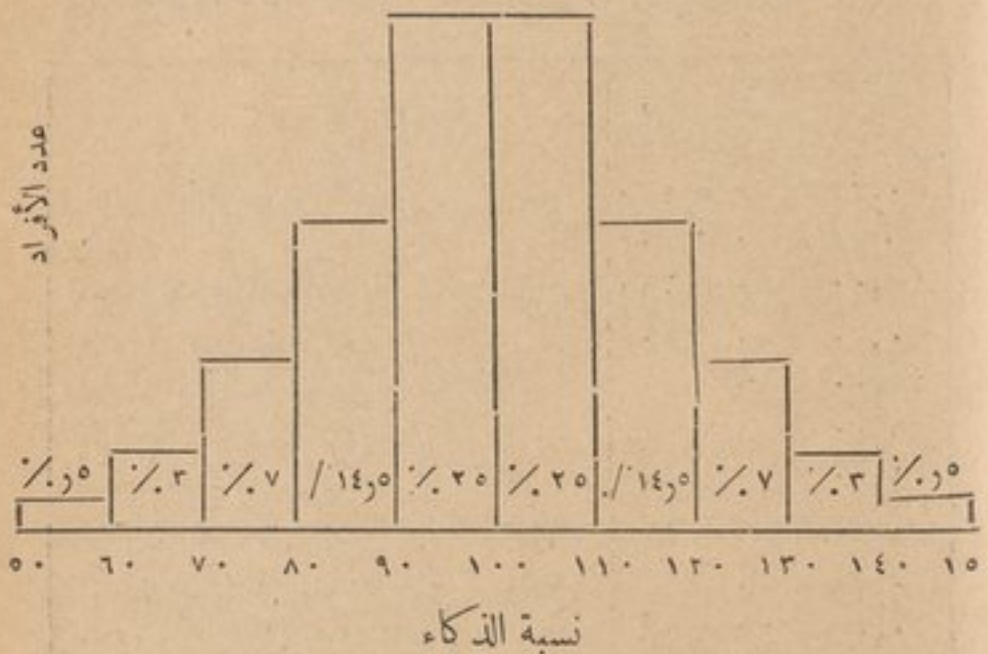

بيان توزيع الذكاء على ٣١٨٤ طفلا حسب نتائج أبحاث ترمان ومرل
(عن صفحة ٥٠٦ من كتاب : J. P. Guilford)

ويلاحظ أن التوزيع لا يصل إلى هذه الدرجة من التماثل إلا عند ما يكثر عدد الأفراد بحيث تمثل جميع الطبقات أصدق تمثيل ؛ ولما كان هذا يخضع لظروف الأبحاث واختيار العينات فقلما نجد تشابها تاما فى التوزيع فى نتائج العلماء المختلفين ؛ وبجانب ذلك يختلف العلماء فى اختيارهم لحدود طبقات الذكاء ومراتبه المختلفة ، ومدى اتساعها أو ضيقها ، وهذا يفسر الاختلاف بينهم فى نسبة عدد الأفراد فى أى طبقة من طبقات الذكاء كنسبة العباقرة أو متوسطى الذكاء أو ضعاف العقول .

وإلى القارىء أحد الجداول التى تبين نسبة توزيع الأفراد فى طبقات الذكاء المختلفة حسب رأى ترمان (L .M. Terman)

مراتب الذكاء	نسبة الذكاء	النسبة المئوية لعدد الأفراد
عبقرى أو قريب من العبقرية	١٤٠ فأكثر	٠٫٢٥
ذكى جداً	١٢٠ — ١٤٠	٦٫٧٥
فوق المتوسط أو ذكى	١١٠ — ١٢٠	١٣٫٠٠
عادى أو متوسط الذكاء	٩٠ — ١١٠	٦٠٫٠٠
أقل من المتوسط أو غبى	٨٠ — ٩٠	١٣٫٠٠
غبى جداً	٧٠ — ٨٠	٦٫٠٠
ضعيف العقل	أقل من ٧٠	١٫٠٠
مورون (عمر عقلى بين ٨ — ١٠ سنوات)	٥٠ — ٧٠	٠٫٧٥
أبله (عمر عقلى بين ٣ — ٧ سنوات)	٢٥ — ٥٠	٠٫١٩
معتوه (عمر عقلى سنتين فأقل)	أقل من ٢٥	٠٫٠٦

جدول طبقات الذكاء والنسبة المئوية لتوزيع الافراد فى كل طبقه عن صفحة ٢٠٣ من كتاب :

Tiffin, Knight & Asher : The Psy. of Normal People.

شخصية العبقرى :

يمكن أن نلمس أثر عامل الذكاء فى تكوين الشخصية — بوضوح أكثر — بدراستنا لشخصية من وهبوا درجة عالية من الذكاء — أى العباقرة — من جهة ، ومن وهبوا كمية قليلة من الذكاء — وهم ضعاف العقول — من جهة أخرى .

ومن أهم الدراسات التى تفيدنا فى دراسة شخصية العبقرى تلك التى قام بها جولتون (Galton) والأبحاث التى قامت بها كاترين كوكس (Catharine Cox) فى تتبع تاريخ حياة مشاهير الرجال ، وكذلك البحث الذى قام به ترمان (Terman) لتتبع حياة ١٤٥٠ طفلا من أطفال المدارس الذين حصلوا على نسبة ذكاء تجعلهم فى مصاف العباقرة ، ذلك البحث الذى بدأه من عام ١٩٢٢ ، والذى لا زال يتتبع حالاته حتى الآن .

وقد أثبتت هذه البحوث عدم صحة الفكرة السائدة وهى أن الأشخاص الموهوبين وذوى العقليات الفذة يكونون عادة ضعيفى الجسم أو عصبيين أو غير ثابتين من الناحية المزاجية ؛ بل إن العكس هو الصحيح حيث تبين أن القوة والصحة الجسمية ، وكذلك الصفات المزاجية والخلقية — فى الأذكياء والعباقرة — تفوق تلك التى توجد فى الأغبياء وضعاف العقول ، كما أن نسبة الوفيات ونسبة من يصابون بالجنون ، ونسبة الطلاق فى المتزوجين — من الأذكياء والعباقرة — أقل منها فى العاديين وضعاف العقول .

ومن الثابت أن جميع من وصلوا إلى الشهرة والتفوق كانوا من بين من ظهرت عليهم علائم النبوغ والعبقرية فى طفولتهم ، ولكن العكس غير صحيح ، فليس كل من وهب الذكاء العالى يستطيع أن يصل إلى الشهرة ، بل إن بعض من أثبتوا ذكاء ممتازاً تضطرهم ظروف حياتهم الأخرى للاشتغال بأعمال بسيطة ومهن لا تحتاج لذكاء كبير كالأعمال الكتابية مثلا . ويرجع ذلك للاختلافات الفردية بين هؤلاء الأشخاص فى مكونات الشخصية الأخرى جسمية كانت أو مزاجية أو اجتماعية ، رغم تساويهم فى الذكاء العالى . ومن أمثلة ذلك عدم تساوى الفرص بين الرجال والنساء واضطرار السيدات للتفرغ للشئون الزوجية والمنزلية ، والانشغال عما يؤدى بهن إلى النبوغ والشهرة فى ميادين الحياة العامة ، ولهذا يعزى نقص عدد المشاهير من النساء فى الأدب والشعر أو القانون والطب والعلوم ، فذلك راجع لعدم توافر الفرص لا لعدم وجود المواهب .

ومن هنا يتبين تداخل مكونات الشخصية وأثر تفاعلها بعضها مع بعض فى التأثير على مستقبل الشخص . . وقد وجد «ترمان» أنه برغم تساوى أفراد مجموعته فى مستوى الذكاء العالى فإن النجاح فى الحياة الزوجية مثلا يختلف بينهم بحسب الاختلاف فى التكوين المزاجى والانفعالية العامة والعادات الخلقية ، وأن

الاختلاف فى درجة الشعور بالسعادة الزوجية يتمشى مع الصحة النفسية وتكامل الشخصية فى جميع عناصرها .

وهناك عوامل أخرى لازمة للشهرة والنبوغ والتفوق بجانب عامل الذكاء ، فالعباقرة المشهورون من أمثال : جولتون ونسبة ذكائه (٢٠٠) و بسكال (١٨٠) وفولتير (١٧٠) وموزارت (١٥٠) ونابليون (١٣٥) ، كانوا يتصفون بجانب الذكاء الحاد بالمثابرة ، ووجود الدافع لبذل الجهد ، ووجود الثقة بالمقدرة وقوة الخلق . .

ويؤيد ذلك الأبحاث التى قام بها « ترمان » فى تقدير شخصية عدد كبير من مجموعته من العباقرة فى ١٤ صفة من صفات الشخصية إذ وجد أن أهم الصفات التى يتميز بها هؤلاء بحسب الترتيب هى : المثابرة ، والثقة بالنفس ، ووضوح الهدف ، والتحرر من الشعور بالنقص .

ولكن « ترمان » يقول أيضا أنه لا يصح أن نتجاهل عامل الفرصة (Chance) فى الشهرة والنبوغ ، إذ أن لكل نوع من أنواع التفوق والظهور ينبغى أن تتهيأ للفرد عوامل مرتبطة بالظروف الزمانية والمكانية التى خلق فيها . وهذا يوضح لنا بجلاء أثر عوامل البيئة فى تكوين الشخصية . والمثل على ذلك يتضح من حالة فرادى (Faraday) الذى ترك المدرسة وهو

فى سن الثـالثة عشرة ، والذى اشتغل صبيا فى مصنع لتجليد الـكتب بعد ذلك بعام واحد ، وكانت مصادفة قراءته لمقال عن الـكهرباء — فى أحد الـكتب التى أعطيت له ليجلدها — هى التى أثارت فى نفسه الميل للعلوم ؛ وحتى هذه المصادفة وحدها لم تكن لتـكفى لولا أن هيأ الله له همفرى دافى (Humphrey Davy) قريبا منه ليمده بالمساعدة والإرشاد .

وتدل الدراسات الـسابقة على أنه مع وجود الذكاء العام بدرجة عالية عند العباقرة من مشاهير الرجال فإن بعضهم يتميز بقدرات خاصة أو مواهب تظهر فى نواح معينة ، ويتضح ذلك بشكل ظاهر فى الموسيقيين والفنانين والشعراء ؛ وتـكون هذه الميول والمواهب الخاصة من القوة بحيث لا تقف أمامها الصعوبات والمعارضات . ففى أكثر من ٢٠ ٪ من الحالات كانت هناك محاولات للتدخل لتغيير مجرى الحياة أو الطريق الذى يريد أن يسلـكه الموهوب وكان سبيلا إلى نبوغه ، ولـكن قوة الدافع والرغبة فى إشباع القدرات الخاصة كان يضطر بعضهم أحيانا إلى التمسك والمقاومة لدرجة تؤدى بهم إلى الهروب أو العصيان ؛ ومن أمثلة ذلك قصة بسكال (Pascal) الذى كان فى سن ١١ يهوى العلوم الرياضية بشغف زائد لدرجة أن والده فكر فى أن

خير طريقة لمعاملته هي أن يحرمه من كتب الرياضة حتى يتقن اللاتينية والإغريقية . . ولكن بسكال تمكن سرا من أن يكون لنفسه نوعا خاصا من القواعد الهندسية أمكنه بواسطتها أن يدرس النظريات الإقليدية حتى نظرية ٣٢ .

ويرتبط بالنقطة السابقة تفسير علماء التحليل النفسى لبعض حالات الشهرة والنبوغ على أساس مايحدث فى النفس من صراع بين الدوافع الحيوية حسب علاقة الطفل بآبائه وإخوته ومركزه فى الأسرة ، وكونه موضع الرضا أو موضع السخط ، وكونه مدللا أو محروما . ويذهب أنصار هذا الرأى إلى القول بأن شهرة الفرد وظهور نبوغه يتوقف على مبلغ ما فى نفسه من عنف فى هذا الصراع لدرجة يجعل بعضهم يرمى الكثيرين من عظماء التاريخ بالإصابة بأمراض نفسية أو عقلية كالوساوس المتسلطة أو جنون العظمة . ويقول « ترمان » أن هتلر (Hitler) من الأمثلة الواضحة على ذلك حيث أنه لا يرجع ظهوره وشهرته إلى قدرات أو مواهب خارقة ، وإنما يرجع ذلك إلى عوامل ذاتية وعقد نفسية أحدثت عنده من القلق والسخط والكراهية والنزعة العدوانية ما كان يعكسه على الغير بتصرفاته التى قادت إلى الحرب والدمار .

ومن النتائج التتبعية لأبناء عدد من العباقرة فى مجموعة « ترمان » تبين أن متوسط نسبة الذكاء فى هؤلاء الأطفال ١٢٧ أى أنها تقل عن متوسط نسبة ذكاء الآباء وهى ١٥٥ ، مما يدل على أن وراثة الذكاء ليس معناها أن يرث الطفل ذكاء أبويه بنفس الدرجة بل إن هناك دائما الميل المتوقع إلى التجانس والقرب من القيمة المتوسطة .

ومن النتائج المتصلة بهذا أن النسبة المئوية لضعاف العقول بين أبناء مجموعة « ترمان » للعباقرة كانت نصف النسبة المئوية لضعاف العقول فى المجتمع ، وأن نسبة الأولاد إلى البنات فى الجيل الجديد لهؤلاء كانت ١١١ إلى ١٠٠ .

ولعل من أهم ما يدل على أثر الذكاء فى الشخصية ما وجده « ترمان » أيضا من أن نسبة المشتغلين بأعمال مهنية راقية بين مجموعته ٥٠ ٪ ، كما أن ٣٠ ٪ آخرين يشتغلون فى أعمال محترمة متوسطة . ونسبة المشتغلين فى هاتين الطبقتين من المهن الراقية تبلغ ستة أضعاف النسبة المهنية فى حالة أفراد المجتمع العاديين .

ومما سبق يتبين أن نسبة الذكاء العالية من شأنها أن تساعد الشخصية على النجاح فى الحياة ، وأن عوامل الشخصية الأخرى تعمل جميعها كوحدة فى تسهيل سبل هذا النجاح .

شخصية ضعيف العقل :

الضعف العقلى — كما يتبين من دراستنا لتوزيع الذكاء — يكوِّن المرتبة الدنيا من مراتب الذكاء وقد رأينا أن من الممكن تقسيم الضعف العقلى نفسه إلى طبقات المورون والبله والعته ، وأن نسبة هؤلاء فى المجتمع تقدر بنحو ١٠/ من المجموع . ومعنى ذلك أنه يمكن القول بأن فى مصر الآن حوالى ٢٠٠ ألف من ضعاف العقول ، وهؤلاء يعيشون بيننا يتزاوجون ، ويشتركون فى الانتخابات ، ويدخلون المدارس ، وهكذا . وسنجد من دراستنا لشخصياتهم أنهم أيضا يكونون عنصرا هاما من عناصر الفساد والانحراف والشذوذ ، وعاملا من عوامل التأخر فى المجتمع المصرى .

والذى يهمنا فى هذا المقام أن نلمس مدى تأثير ما عندهم من نقص فى القدرة العقلية المعرفية العامة فى تكوين شخصياتهم التى تتصف بالقصور والتفكك .

وقد دلت الدراسات التى قام بها المهتمون بهذه الطائفة . أمثال بيرت (Burt) ، ولوس (Leuis) على أن الضعف العقلى يؤثر فى باقى مكونات الشخصية الأخرى بحيث يصحبه غالبا تأخر فى النمو الجسمى والانفعالى والخلقى .

ولهذا نجد أن الضعف العقلى يؤدى إلى عدم النجاح وانحلال الشخصية مهما تهيأت ظروف البيئة ، وكل ما يمكن عمله إزاء هؤلاء ، هو حمايتهم وحماية المجتمع منهم ، أما أن نخلق من ضعيف العقل شخصية ممتازة ، أو قائداً مثلا فأمر مستحيل .

ومن الصفات المعروفة عن ضعاف العقول ، أنهم يتأخرون فى النمو فى المشى والكلام وسرعة التعلم ، وأن فيهم ضعفا فى التوازن الحركى بحيث يبدو ذلك فى تعبيرهم بالكتابة أو الرسم إذا أريد تعليمهم ، كما أن أفكارهم ضئيلة ، وآراءهم سطحية ، وفهمهم بطىء جداً ، وليس لديهم القدرة على التحكم فى دوافعهم النفسية وانفعالاتهم الغريزية ، ويصعب عليهم الاختلاط بالعاديين لتباين الميول ، واختلاف العقلية ؛ ولهذا ينسحبون من أوساط العاديين والأذكياء ، ليتجمعوا بعضهم مع بعض حيث يترسبون على مر الزمن فى القرى الصغيرة والأحياء الفقيرة والكهوف ، وما أشبه ذلك . وهم لضعف ذكائهم يكونون غير قادرين على التصرف فى مشاكل حياتهم ؛ ولذا يفشلون فى حياتهم الزوجية ، ويشرد أطفالهم ؛ ولذا يسهل على ضعاف العقول الانسياق إلى إدمان المخدرات والمشروبات الروحية ليجدوا فى حالات إدمانهم ما يشعرهم بالسعادة والكفاية التى لا يحسونها فى حياتهم العادية إزاء عدم قدرتهم على تحمل المسؤلية . ومن السهل جداً قيادة

ضعاف العقول لضعف إرادتهم ؛ ولهذا نجد أن عدداً من أذكياء المجرمين يستغل هذه الطبقة فى تنفيذ جرائمهم ، خصوصاً وأن من الممكن استغلالهم بحيث لا يكسبون من ورائها إلا نصيباً ضئيلا ؛ وهم لضعف عقلهم لا يستطيعون التحايل على الهرب ، أو حبك الخطة قبل تنفيذ الجريمة ؛ ولذا يسهل وقوعهم فى أيدى العدالة التى يفر منها الكثير من الأذكياء ؛ وهذا يفسر لنا نسبة ضعاف العقول بين المجرمين ، حيث تقدر بحوالى ٨ ٪ فى حين أن نسبتهم العادية ١ ٪ بين أفراد المجتمع كله .

على أن الأنواع المنحطة من ضعاف العقول وهم المعتوهون تصل شخصيتهم إلى درجة كبيرة من الضعف ، بحيث لا يستطيعون المحافظة على أنفسهم من الأخطار الخارجية المادية البسيطة ، ولا يستطيعون القيام بأى عمل مهما كان سهلا ، ويحتاجون لرعاية كاملة كالبهائم والأطفال الصغار .

أما البلهاء فهم و إن لم يصل النقص العقلى عندهم إلى درجة العته إلا أنهم يكونون غير قادرين على مباشرة مصالحهم ، أو المساهمة بالعمل على كسب عيشهم ، ولا يمكن تعليمهم سوى كلمات بسيطة .

ولكن المورون — وهم أعلى مراتب الضعف العقلى —

فعلى الرغم من أن النقص العقلى عندهم لا يصل إلى درجة البله ، إلا أنهم مع ذلك يحتاجون إلى رعاية وإشراف لحمايتهم وحماية الغير منهم . وهم لا يستطيعون الاستفادة من التعليم فى المدارس العادية إطلاقا ، ولـكن من الممكن أن يتعلموا فى مدارس خاصة (Special Schools) بعض الأعمال البسيطة التى تساعدهم على كسب العيش ؛ ولـكنهم لا يمكنهم الاستقلال الذاتى حيث أن قدرتهم على التصرف محدودة ، وليس عندهم بعد نظر أو قدرة على تمييز الخطأ من الصواب . وهؤلاء هم الذين يكونون نسبة كبيرة بين المجرمين .

وإذا وجد بجانب الضعف العقلى نزعات إجرامية ، أو ميول انفعالية شاذة بحيث تطبع الشخصية بمظاهر الانحراف الخلقى ، ففى هذه الحالة تسمى هذه الطائفة ضعاف الخلق (Moral Defectives)

وقد يوجد مع الضعف العقلى مضاعفات أو نواح أخرى من الشذوذ كالضعف العقلى المصحوب بالصرع ، أو الضعف العقلى المصحوب بالصم أو البكم ، وغير ذلك مما يزيد الحالة سوءاً .

وأحيانا تصحب الضعف العقلى تشوهات أو علامات ، أو وصمات جسمية ظاهرة ، ومن أمثلة ذلك : الضعف العقلى المصحوب بكبر الجمجمة (Hydrocephalic) وفى هذه الحالات

يكون حجم الرأس كبيراً ولكنه ممتلىء بالسائل المخي مع ضمور فى نمو المخ ، وحالات صغر الجمجمة (Microcephalic) وهؤلاء تكون الجمجمة عندهم صغيرة بدرجة ملحوظة رغم نمو الوجه بالحجم الطبيعى ، وغالبا نجد مستوى قمة الرأس فى هؤلاء لايصل إلى أكثر من مستوى الأذنين ؛ وقد رأيت بعض هذه الحالات فى مستعمرة لضعاف العقول بانجلترا حيث كان جلد الرأس مجعداً نظراً لصغر الجمجمة . ومن الحالات المتميزة أيضاً نوع الضعف العقلى المصحوب بقلة إفراز الغدة الدرقية ، والذى يؤدى إلى قصر القامة والقزمية (Cret nism) وهؤلاء يمكن تحسين ذكائهم لو أمكن ملاحظتهم مبكراً ، وهناك نوع آخر مشهور من ضعاف العقول وهم النوع المغولى (Mongolian type) وهؤلاء يشبهون المغوليين فى شكل عيونهم ووجوم الوجه وغلظ اللسان وعدم القدرة على التعبير بالكلام ، وكثرة حركتهم بحيث لا يستقرون فى مكان .

وهكذا رأينا أن الضعف العقلى و إن كان فى الأصل عقلياً ومتصلا بالنواحى المعرفية من الشخصية إلا أن مكونات الشخصية الأخرى تتمشى بعضها مع بعض متأثرة بهذا الضعف حتى إنه يغلب أن تكون شخصية ضعيف العقل واضحا فيها الشذوذ

الجسمى والانفعالى والخلقى أيضاً مما يدل على وحدتها ووجود التفاعل المستمر بين مكوناتها .

الفروق الفردية فى الذكاء وأثرها فى الشخصية :

اتضح مما سبق أثر قوة الذكاء أو ضعفه فى تكوين الشخصية بدراستنا للطائفتين المتطرفتين وهما العباقرة وضعاف العقول . والآن نبحث فى مراتب الذكاء بصفة عامة لنرى كيف يؤثر الذكاء فى الشخصية كما يبدو فى مظاهر السلوك العامة فى الحياة الاجتماعية والتعليمية والمهنية .

يتميز الشخص الذكى باليقظة والقدرة على الملاحظة ، والوعى والحفظ وخصوبة الخيال ، ودوام تفاعل الأفكار والقدرة على الاستفادة بها ، كما يتميز بسرعة التصرف واللمح والاستبصار وبعد النظر ، والقدرة على نقد الذات ؛ بجانب القوة الحيوية أو الطاقة الفعالة التى توجد وراء الذكاء فتدفع بصاحبه دائما إلى الأمام .

أما الشخص الغبى فعلى النقيض من ذلك تماما ، ولذا نجد أن الغباء من عوامل تدهور الشخصية وفشلها فى الحياة وقابليتها للشذوذ الاجتماعى والخلقى ؛ ويمكن أن نجد أثر ذلك واضحاً فى الأمثلة الآتية : —

١ — علاقة الذكاء بالإجرام .

٢ — علاقة الذكاء بالقابلية للتعلم .

٣ — علاقة الذكاء بالنجاح فى المهنة .

علاقة الذكاء بالإجرام :

تدل الإحصاءات التى تعمل فى محيط الانحراف والإجرام على أن احتمال انسياق الشخصية إلى الإجرام يتناسب تناسباً طردياً مع درجة الغباء أو عكسياً مع درجة الذكاء . ومن أمثلة ذلك النتائج التى وجدها مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث بالقاهرة ، حيث دلت نتائج قياس الذكاء لمجموعة مكونة من ٤١٨ طفلا من الحالات التى وردت إليه على ما يأتى : —

حالة الذكاء	النسبة المئوية
ذكى جداً	١,٥ ٪
فوق المتوسط	٥,٥ ٪
متوسط	٢٠,٢٥ ٪
أقل من المتوسط	٢٧,٠ ٪
غبى	٢٤,٥ ٪
ضعيف العقل	٢١,٢٥ ٪
المجموع	١٠٠ ٪

ورغم ما يحيط بمثل هذه الاحصائيات من عوامل تجعل نتائجها مرهونة بظروف القياس وصحة الاختبار وتحفظات أخرى خاصة ، إلا أنها على العموم متمشية مع النتائج التى نجدها عادة فى البلاد الأخرى والتى تؤيد أهمية عامل الذكاء فى الإجرام . ومن أمثلة ذلك ما قام به أحد الباحثين (أنظر Guilford صفحة ٥٤٤) بتقدير نسبة ذكاء مجموعة مكونه من ٤٦٩ طفلا من نزلاء الاصلاحيات بمقاطعة كاليفورنيا بأمريكا حيث وجد ما يأتى : —

نسبة الذكاء	النسبة المئوية
أقل من ٧٠	٢٣٫٧ ٪
من ٧٠ — ٩٠	٣٨٫٦ ٪
من ٩٠ — ١١٠	٢١٫٥ ٪
فوق ١١٠	٦٫٢ ٪
المجموع	١٠٠ ٪

كما وجد باحث آخر أن متوسط نسبة الذكاء لمجموعة أخرى مكونة من ٣٥٨٤ طفلا من الأطفال المنحرفين بين سن ٩ ؟ ١٦ كانت ٨٢,٢ .

ويمكن أن نضاعف الأمثلة من الاحصائيات التى تؤيد

بوضوح أهمية عامل الذكاة وتأثيره فى الشخصية وعلاقة الغباء بالإجرام .

علاقة الذكاء بالقابلية للتعلم :

من التعاريف الهامة للذكاء تعريف كلفن (Colvin) بأنه « القدرة على التعلم » . ومعنى ذلك أن هناك تناسبا طرديا بين مالدى الفرد من ذكاء أو قدرة معرفية فطرية عامة و بين قدرته على التعلم ، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها حيث أن معامل الارتباط بين الذكاء والنجاح المدرسى بصفة عامة يزيد عن ٠,٧٤ مع مراعاة أن علاقة الذكاء بالنجاح فى المواد المختلفة تختلف من مادة إلى أخرى حسب ما تحتاجه المادة من قدرات أو مواهب خاصة بجانب الذكاء .

وتدل الأبحاث الكثيرة فى محيط النجاح والتأخر الدراسى على أن المستويات التعليمية المختلفة تحتاج إلى ما يناسبها من الذكاء . فالدراسة بالتعليم العالى مثلا تتطلب حدا أدنى من مستوى الذكاء بدونه لا يمكن للشخص أن يجتاز هذه المرحلة مهما بذل من جهد . ويرجع عدد كبير من حالات الفشل المدرسى إلى قصور الذكاء وضعف مستواه وعدم تناسبه مع المرحلة الدراسية التى بها التلميذ ، حيث يضيع سدى كثير مما يبذله

الآباء والمدرسون من المال والجهد والوقت فى تعليم هذه الحالات .

ويمكن أن نلمس هذا بوضوح إذا أمعنا النظر فى دراسة إحصائية بسيطة لعدد التلاميذ الذين يترسبون فى الفرق المدرسية المختلفة نظرا لعدم توافر الذكاء اللازم عندهم للتمكن من النجاح ، وسنجد أن هؤلاء عادة ممن تزيد أعمارهم عن المستوى العادى لفرقهم المدرسية .

ومن أمثلة ذلك أحد البحوث التى أجريت بإحدى المدارس الثانوية بالقاهرة ، والذى قام به الأستاذ أحمد زكى محمد عن العوامل التى تؤثر فى التحصيل المدرسي ، والذى نشرت نتائجه بمجلة التربية عدد يناير سنة ١٩٥٠ ، حيث وجدت النتائج الآتية : —

الفرقة	عدد الطالبات	النسبة المئوية لطبقة الذكاء			نسبة كبار السن	حدود السن الاعتيادى	
		ا ؟ ب	حـ	ء ؟ هـ		سنة	شهر
الثانية	١٦٩	٩ ٪	٥٥ ٪	٣٦ ٪	٤٤ ٪	١٥	٤
الثالثة	١٥٤	١٢ ٪	٦١ ٪	٢٧ ٪	٤٠ ٪	١٦	٥
الرابعة	١٤٢	١٢ ٪	٦٧ ٪	٢١ ٪	٤٠ ٪	١٧	٧
الخامسة	٥٨	٣٤٫٥ ٪	٥٨٫٥ ٪	٧ ٪	٢٦ ٪	١٨	٩
السادسة	٧٦	٣٧ ٪	٥٨ ٪	٥ ٪	٢١ ٪	٢٠	٠٠
المجموع	٥٩٧				المتوسط ٣٧ ٪		

ومن هـذه النتائج يتبين أن نسبة عدد التلاميذ الأذكياء تزداد كلما تقدمنا فى الفرق الدراسية ؛ وعلى العكس من ذلك نجد نسبة عدد التلاميذ من طبقات الذكاء التى تدل على الغباء تقل بشكل ظاهر فى الفرق المتقدمة . أى أن الأغبياء من التلاميذ يترسبون عادة فى الفرق المدرسية الأولى ولا يستطيعون الوصول إلى الفرق العالية إلا بصعوبة كبيرة .

ويلاحظ أيضا وجود نسبة كبيرة من كبار السن متمشية مع الغباء والرسوب ، ممايدل على مبلغ الضياع فى الوقت والمجهود مع هؤلاء .

ملاحظة :

أتيحت لى الفرصة لاستخلاص النتائج المتعلقة بكبار السن فى هـذا البحث — فى الحدود المذكورة — تحت إشراف الأستاذ (Burt) بجامعة لندن .

وفى انجلترا وأمريكا يعطى عامل الذكاء أهمية كبيرة فى السياسة التعليمية ، وتدل أبحاث التوجيه التعليمى على أن مراحل التعليم المختلفة تتطلب مستويات معينة من الذكاء ، ومن أمثلة ذلك النتائج التي وصل إليها كاتل (R. B. Cattell) فى انجلترا حيث وجد ما يأتى : —

نوع التعليم	المدى المتوسط لنسبة الذكاء
الدرجات الجامعية	١٣٠ — ١٦٠
الدبلومات والشهادات العليا	١٢٠ — ١٥٠
التعليم الثانوى	١١٠ — ١٤٥
« المتوسط	١٠٥ — ١٤٠
« الابتدائى (الفصول العليا)	١٠٠ — ١١٥
« « (الفصول المتوسطة)	٨٥ — ١٠٠
« « (الفصول المتأخرة)	٧٥ — ٨٥
الفصول الخاصة	٧٠ — ٧٥
مدارس ضعاف العقول (مورون)	٥٠ — ٦٥
مستعمرات ضعاف العقول	أقل من ٥٠

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن هناك عوامل أخرى كثيرة تتدخل فى القدرة على النجاح المدرسى ، كالظروف الصحية والاجتماعية والصفات المزاجية والخلقية ؛ ولهذا يجوز أن نجد بين الراسبين من التلاميذ عددا ممن توافر عندهم القدر الكافى من الذكاء ، ولكن ظروفهم الأخرى هى التى تحول بينهم وبين النجاح . ولكن العكس غير صحيح ، إذ أن المفروض أن جميع من يستطيعون الوصول إلى المراحل الدراسية العليا بنجاح — وبطريقة طبيعية — يعتبرون ممن توافر لديهم القدر اللازم من الذكاء العام .

علاقة الذكاء بالنجاح المهنى :

ويمكن قياسا على ما سبق أن ندرك أحد الأسباب التى من أجلها يتوقف مدى نجاح الشخص فى مهنته . فقد دلت الاحصائيات فى محيط التوجيه المهنى على أن المهن الراقية تتطلب مستويات عالية من الذكاء ، وأن من الواجب أن ننصح ذوى المستوى المنخفض من الذكاء بعدم دخول هذه المهن و بأن يلجأوا إلى أنواع المهن الأخرى التى يصلحون لها ، والتى يفشل فيها غيرهم من الأذكياء .

وتعتنى البلاد الأجنبية بالتوجيه المهنى على أسس علمية سليمة . ومن أمثلة ذلك ما يقوم به المعهد الأهلى لعلم النفس الصناعى بلندن (National Institute of Industrial Psychology). حيث يفد إليه الكثيرون ممن يرغبون فى التوجيه للمهن المناسبة لهم ، فيقدم لهم النصح بعد دراسة حالاتهم بالاختبارات اللازمة .

وقد اقترح بيرت (Burt) — أثناء عمله بهذا المعهد — تصنيفا للمهن المختلفة وما تتطلبه من مستويات الذكاء كالآتى : —

نسبة الذكاء	المهن
فوق ١٥٠	الوظائف والمهن التى تحتاج إلى تخصص فى كالطب والمحاماة والتدريس العالى وإدارة الشركات . . .
١٣٠ — ١٥٠	الوظائف والمهن الفنية كالمدرسين فى التعليم العام وموظفى البنوك وأطباء الأسنان والصحافيين . . .
١١٥ — ١٣٠	المهن والوظائف الكتابية الفنية كرجال التأمين ، وأصحاب المكتبات والتجار والصناع الفنيين كالكهربائى والمهندس الميكانيكى . . .
١٠٠ — ١١٥	المشتغلون بأعمال تحتاج لمهارات خاصة كعمال التليفون . وعمال المطابع . والصناع فى أعمال الخراطة والنجارة . . .
٨٥ — ١٠٠	المشتغلون بأعمال تحتاج إلى مهارة بسيطة كساعاة البريد . والنقاشين . وصناع الأحذية . . .
٧٠ — ٨٥	المشتغلون بأعمال آلية على نمط واحد كالبوابين والمشتغلين فى حزم البضائع وعمال الحفر والشيالين . . .
٥٠ — ٧٠	المشتغلون بأعمال بسيطة جداً تحت إشراف الغير . . .
أقل من ٥٠	لايمكنهم القيام بأى عمل ومكانهم مؤسسات ضعاف العقول

ومن المهم أن نؤكد أيضاً أن الذكاء ليس العامل الوحيد للنجاح المهنى ، ولـكنه من العوامل الرئيسية ، ولا بد فى التوجيه المهنى أن يؤخذ بمجموعة العوامل كلها ، سواء كان منها ما يتصل بظروف الشخص الصحية أو المزاجية أو الاجتماعية ، أو ما يتصل بما قد يكون لدى الفرد من مواهب وميول وقدرات عقلية خاصة تساعده على النجاح فى مهن دون الأخرى .

من الأمثلة السابقة يتبين بوضوح كيف يلعب الذكاء دوره

فى تحديد فرص الحياة أمام صاحبه ، وكيف أن الشخصية كلها تتأثر بهذا العامل المعرفى العام من حيث مكانة الشخص الاجتماعية سواء كان ذلك من ناحية الانسجام مع المجتمع أو الانحراف والانسياق للإجرام ، أو من ناحية التعليم والثقافة ، أو أسلوب كسب الرزق وتذوق الحياة .

مراجع :

1. R. B. Cattell : General Psychology
2. J. P. Guilford : General Psychology
3. L. M. Terman : Psychological Approaches to the Biography of Genius.
4. National Association for Mental Health : Notes on Legislation Relating to Mental Defectives.
5. C. L. Burt & Others : A Study in Vocational Guidance.

الفصل السادس

الاستعدادات المعرفية الخاصة

رأينا مما سبق أن الذكاء قدرة عامة بمعنى أن الشخص الذكى يظهر ذكاؤه عادة فى جميع الأعمال ونواحى التصرف التى يقوم بها ؛ والشخص الغبى يظهر غباؤه فى كل عمل أو تصرف يأتيه . ولكن هذا لا يمنع أنه مع وجود نسبة معينة من هذا الذكاء العام عند الشخص ، فإنه بجانب ذلك يكون لديه نوع معين من الاستعداد أو القدرة الفطرية فى نواح عقلية معرفية أو فكرية خاصة ، فيكون قادراً على التفوق فيها دون غيرها ؛ وهذا هو ما نعنى بالاستعدادات المعرفية الخاصة أو القدرات الخاصة .

العوامل والملكات :

وقد كانت هذه القدرات تدرس قديما ضمن الملكات (Faculties) ، حيث كان العلماء يقسمون العقل كله إلى وحدات ، أو قوى مستقلة ومحددة ، وكانوا يحصون هذه الملكات ويصنفونها معتقدين بوجود مناطق محددة تقابل كلا منها فى المخ ؛ وكانت هذه الملكات تشمل النواحى الإدراكية والمزاجية أيضاً ، حيث

كان هناك ملكة المقاتلة وملكة اعتبار الذات وملكة الانتباه وملكة الفهم . . . وهكذا . ومن العلماء الذين نادوا بفكرة الملكات جول (Gall) وكان يعتبر عددها ٢٧ ملكة ، وكومب (Combe) وكان يعدها ٤٢ ملكة .

ولكنا نعلم الآن أن القدرات والصفات العقلية ليس لكل واحدة منها منطقة محددة بالمخ ، لأنها ليست من البساطة بحيث يمكن حصرها أو عدها ، كما أن النشاط العقلى يظهر على شكل وحدات مركبة ومعقدة بحيث أن كل قدرة عقلية تستثير مناطق متعددة من المخ .

ويتجه علماء القياس العقلى الآن إلى التحدث عن المظاهر العقلية — لا إلى الملكات — وإلى الإنتاج العقلى كما يبدو فى الاختبارات العقلية وتأدية أعمال معينة ومدى ما يمكن أن يوجد بين هذه الاختبارات والتأديات من ارتباطات أو عوامل مشتركة . وعن طريق معالجة نتائج الاختبارات بالطرق الإحصائية — التى أهمها طريقة التحليل العاملى (Factor Analysis) — يمكن الاستدلال على وجود القدرات العقلية أو الملكات أو عدم وجودها .

ومن الأمثلة على ذلك الأبحاث التى تجرى للتحقق من وجود ملكة الذاكرة . فمن المعروف أن بعض تلاميذ المدارس مثلا يكون لديهم ذاكرة قوية جداً لتواريخ أفلام السينما أو نتائج

المباريات الرياضية . بينما يكون لديهم ذاكرة ضعيفة فى الأعمال المدرسية . و بعض المدرسين يكون لديهم ذاكرة قوية جداً فيما يختص بالمادة التى يقومون بتدريسها ، بينما نجدهم ضعيفى الذاكرة فى باقى أمور الحياة العادية أو كثيرى النسيان لأوجه الناس وأسمائهم . . . وهكذا . فإذا أمكن أن نضع اختبارات لهذه الأنواع المختلفة من الذاكرة ، ثم طبقناها على مجموعة كبيرة من الأشخاص ، وأوجدنا معاملات الارتباط بين نتائجها ، ثم عالجنا هذه النتائج بطريقة التحليل العاملى ، فسنجد فى الغالب أنه لا يوجد اتفاق ظاهر بين هذه النتائج أو أن هناك اتفاقاً بسيطاً لا يعتمد عليه . ويكون ذلك دليلا على عدم وجود ملكة عامة للذاكرة بل على وجود عدد من الذاكرات المختلفة . مع ملاحظة أن ماقد يوجد بين الأنواع المختلفة من اختبارات الذاكرات المنوعة من ارتباطات ربما يكون راجعاً إلى عامل مشترك آخر غير الذاكرة مثل الذكاء أو القدرة المعرفية العامة . ويمكن بطريقة التحليل العاملى أن نفصل أو نعزل أثر هذا العامل العام لنرى بعد ذلك ما إذا كان لا يزال هناك ارتباطات أخرى راجعة لعوامل مشتركة غير الذكاء أم لا .

ويجب أن نؤكد أن العوامل المشتركة التى نحصل عليها عن

طريق التحليل العاملى ليست عناصر عقلية بالفعل أو ملكات ، وإنما هى مجرد فروض رياضية يصح أن نستدل بها — عن طريق الاستعانة بملابسات أخرى — على وجود الاستعدادات العقلية .

إذن فلا بد من الاستعانة بوسائل وقرائن أخرى تكمل مهمة طريقة التحليل العاملى فى مساعدتنا على تفسير تلك الأنواع الخاصة من النشاط العقلى التى تعمل وراء بعض الاختبارات ونتائج القياس فتؤدى إلى وجود الارتباطات والعوامل المشتركة .

ومن أمثلة هذه القرائن ما يلاحظ فى الحياة العادية من اختلافات بين الجنسين ، فمثلا من الملاحظ لنا جميعا أن البنات يتفوقن على البنين فى القدرة اللفظية والتعبير بالكلام بينما يتفوق البنون على البنات فى القدرات الميكانيكية والقدرات التى تعتمد على الحساب والأرقام . . . وهكذا .

ومن القرائن التى تؤيد فكرة وجود أنواع خاصة من الاستعدادات العقلية التى لا تتوقف على المستوى العقلى العام أو الذكاء ما يلاحظ فى الأشخاص العاديين — بل وضعاف العقول أحيانا — من تميّز فى ناحية دون غيرها من نواحى الحياة العقلية . ويعرف ضعاف العقول الذين تظهر عندهم قدرة خارقة فى ناحية معينة باسم المعتوهين العارفين (Idiot Savant) . وأمثال هؤلاء لندرتهم يسترعون انتباه الناس واهتمام العلماء ،

ولهذا نجد قصصاً كثيرة عن وصف هذه الحالات التى يمكن أن نستدل منها على وجود الأنواع المتطرفة للاستعدادات المعرفية الخاصة .

ومن أمثلة هذه القصص ما سجله أحد الباحثين عن حالة شخص كان يستطيع أن يعيد نطق عبارة طويلة بعدة لغات أجنبية بدون خطأ و بلهجة صحيحة بعد قراءتها عليه مرة واحدة ، رغم عدم معرفته للقراءة والكتابة ، مما يدل على تميزه باستعداد عقلى خاص فى هذه الناحية اللفظية .

وهناك حالات أخرى تشير إلى وجود أنواع مختلفة من المواهب الحسابية ، ومن أمثلة ذلك حالة شخص كان يستطيع أن يقوم بعمليات حسابية معينة بسرعة كبيرة ، كأن يخبرك مثلا عن عدد الدقائق التى عاشها شخص ما بمجرد أن تذكر له تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ، أو أن يعطيك حاصل ضرب عددين كل منهما مكون من أربعة أو خمسة أرقام فى لمحة من الزمن . وحالة شخص آخر كان يستطيع بمجرد أن يذكر له عدد مكون من أربعة عشر رقما مثلا أن ينطق بالجذر السابع لهذا العدد فى أقل من نصف دقيقة . . وهكذا .

وقد تظهر أمثال هذه القدرات الخارقة فى أى نوع من

الاستعدادات العقلية الأخرى كنواحى القدرات الفنية من رسم أو تصوير أو قدرة موسيقية ، وكحالات قوة الذاكرة الخارقة للعادة فى ناحية محدودة . . وهكذا .

الاستعداد والقدرة :

ويمكن أن نستدل من الأمثلة السابقة على أن هذه القدرات عبارة عن استعدادات (Aptitudes) فطرية يخلق بها الشخص ، وليست ناتجة من الخبرة أو التمرين ، وهذا هو مايفرق بينها وبين القدرات المكتسبة (Abilities) ؛ ويلاحظ أن من الجائز أن يكون لدى الشخص استعداد قوى فى ناحية معينة ولكنه لا يستغل هذا الاستعداد لأن البيئة لم تهيىء له الفرصة لإظهاره والانتفاع به فيكون عنده الاستعداد ولا توجد عنده القدرة .

ونود أن نعرف الآن بعض الاستعدادات العقلية الخاصة التى دلت نتائج القياس والاختبارات العقلية على وجودها فعلا ، حتى نستطيع على ضوئها أن نعرف بعض الأسس التى تقوم عليها الاختلافات الفردية ، والدور الذى تقوم به هذه الاستعدادات الخاصة فى تمييز شخصية عن أخرى .

وإذا كان الأساس الذى سنتخذه حكما على وجود هذه الاستعدادات هو نتائج القياس العقلى والتحليل العاملى فيصح أن

نتكلم بلغة العوامل حتى يكون عرضنا للموضوع على أسس سليمة . فالذى تقيسه الاختبارات غالبا ليس الاستعدادات المجردة وإنما الاستعدادات وهى تعمل ، أى مضافا إليها عناصر أخرى . ولهذا نجد فى هذه النتائج تداخلا كبيراً جداً بين القدرات المكتسبة والاستعدادات الفطرية بحيث يصعب الفصل بينهما عند تحليل النتائج .

قائمة الاستعدادات الفطرية

إن الجهود التى بذلها العلماء فى العشرين سنة الأخيرة الماضية قد أدت إلى تراكم نتائج كثيرة جداً عن الاستعدادات العقلية وتفرعاتها وعلاقاتها بعضها مع البعض . وإذا كنا نجد فى نتائجهم بعض الاختلاف أحيانا ، فإن هذا يرجع إلى استحالة الوقوف على كنه الاستعدادات العقلية المجردة ، وضرورة دراستها عن طريق مظاهرها ، تلك المظاهر التى تتأثر كثيراً بعوامل أخرى كثيرة . ويمكن أن نفسر بعض هذا الاختلاف إذا تذكرنا أن كل باحث يبنى نتائجه على الاختبارات التى يتخيرها كأداة للقياس العقلى ، خصوصاً إذا أيقنا أنه لا يوجد حتى الآن اختبار واحد يصلح لقياس استعداد فطرى خاص دون غيره ، بل يقاس الاستعداد

عن طريق ما يكون مشتركا بين جملة اختبارات .

وإلى القارىء قائمة بالاستعدادات العقلية التى يصح أن تعتبر أساسية بحيث يمكن أن نرجع إليها ما قد يصادفنا من استعدادات أخرى . ويجب أن نلاحظ أن هذه الاستعدادات أو القدرات ليست عناصر بسيطة وإنما كل واحدة منها تعتبر قدرة مركبة من قدرات فرعية : —

١ — القدرات اللفظية : (Verbal)

ويرمز إليها بالحرف (V) . وهى أكثر القدرات العقلية ثبوتا وظهوراً ، حيث اتفق على تمييزها جميع من تعرضوا للبحث فيها ، وإن كانوا يختلفون فى تقسيماتهم للقدرات التى تنطوى تحتها .

ويؤيد وجود هذه القدرات الإختلافات الواضحة فيها بين الجنسين ، وكذلك الإختلافات التى يسهل تتبعها بين تلاميذ المدارس ، وما نلاحظه فى الحياة العامة من فروق فردية بين الأشخاص فى هذه القدرات اللفظية .

وقد كان المعتقد قديما أن هناك ملكة واحدة خاصة بالنواحى اللفظية ، وكان ذلك مبنيا على التسليم بوجود منطقة معينة على سطح المخ مسئولة عن هذه الملكة ، وهى منطقة بروكا (Broca) .

ولكن الأبحاث الحديثة فى الدراسات الفسيولوجية لسطح المخ قد أثبتت وجود جملة مناطق مسئولة كلها عن القدرات اللفظية المختلفة ، فهناك مركز خاص بالكلمات البصرية أى التى تقرأ ، وآخر للألفاظ السمعية ، ومنطقة مسئولة عن النواحى الحركية للجهاز الكلامى ، وأخرى مسئولة عن حركة اليد فى الكتابة ، وهكذا .

ويضع الباحثون في هذه القدرات تقسيمات مختلفة تتوقف إلى حد كبير كما قلت على محيط البحث الذى قاموا به وأنواع الإختبارات التى استعملت فيه .

ومن هذه التقسيمات تقسيم بيرت (Burt) الذى يمكن توضيحه كالآتى :—

	قدرات إدراكية	قدرات تعبيرية
مركبة	فهم العبارات والجمل اللفظية	التعبير باللغة والكتابة والطلاقة فى التعبير
بسيطة	فهم الألفاظ والكلمات	القدرة على التعبير بالكلمات والألفاظ المناسبة

أما كارول (Carrol) فيعتبر أن من الممكن تمييز ٨ أنواع من القدرات اللفظية منها : سرعة القراءة ، وارتباط التعبيرات

فى الكلام الشفهى ، وحفظ العبارات ، والقدرة على ربط المدركات بالألفاظ ، . . . وهكذا .

ولكن ثرستون (Thurstone) يعتقد أن هناك ثلاثة أنواع من القدرات اللفظية تتمشى مع ثلاثة أنواع يمكن تمييزها فى فى الاضطرابات الكلامية اللفظية وهى :

١ — القدره على فهم المواد اللفظية

٢ — القدرة على استحضار الألفاظ المناسبة عند التعبير

٣ — السهولة والطلاقة فى التعبير

أما تيلور (Taylor) فيصف أربعة أنواع من القدرات اللفظية وهى : —

١ — فهم الألفاظ .

٢ — التعبير اللفظى وتكوين الترابطات اللغوية بسهولة .

٣ — سرعة استحضار الألفاظ .

٤ — سرعة توارد المعانى .

٢ — القدرات الميكانيكية : (Mechanical)

ويرمز إليها بالحرف (M) . وهى من القدرات التى يسهل تمييزها أيضاً ، والتى لاحظها العلماء مبكراً ؛ فقبل أن يتطرق البحث

إلى القدرات الخاصة بشكلها الحاضر كان ثورنديك (Thorndike) يقسم الذكاء إلى أنواع ثلاثة : ذكاء لفظى ، وذكاء ميكانيكى ، وذكاء اجتماعي ؛ مما يشير إلى وضوح القدرات الميكانيكية عند بعض الناس بشكل ظاهر .

ويمكن أن نستدل على وجود هـذه القدرات الخاصة من الملاحظات اليومية للفروق الجنسية ، حيث نجد أن البنين يميلون — حتى فى ألعابهم — للأعمال الميكانيكية بينما ينصرف البنات عنها .

ومن أوائل الباحثين فى هذه القدرات كوكس (Cox) حيث نشر فى عام ١٩٢٩ بحثه عن « وجود وطبيعة وقياس القدرة الميكانيكية » وله اختبارات معينة لقياس هذه القدرات لا زالت تستعمل حتى الآن .

وقد اعترف سـبيرمان (Spearman) نفسه بوجود هذه القدرات — عام ١٩٢٦ — فى الوقت الذي كان متردداً فيه فى الاعتراف بفكرة القدرات الخاصة ، حيث لم يعترف حينئذ بسوى عدد معدود على الأصابع من هـذه القدرات وهى : القدرة اللفظية ، والقدرة الميكانيكية ، والقدرة السيكلوجية ، والقدرة الحسابية ، والقدرة المنطقية ، والقدرة الموسيقية .

وقد دلت البحوث التى عملت فى محيط التوجيه التعليمى والمهنى وفى الجيش على أن هذه القدرات الميكانيكية ذات أهمية كبرى فى اختيار من يصلحون للأعمال الهندسية والتى تحتاج إلى فهم عمل الآلات المختلفة ؛ وتبين أيضاً أن لهذه القدرات صلة كبيرة بالقدرات الآتية :—

١ — القدرة العملية (Practical)

٢ — القدرة على التصور البصرى (Spatial)

٣ — قدرات التوافق الحركى (Motor - Coordination)

٤ — المهارات اليدوية (Manual Dexterity)

٥ — القدرة على الإدراك السريع (Perceptual Speed)

٣ — قدرات التصور البصرى المكانى : (Spatial-Visual)

وهى من القدرات الأساسية التى تظهر بوضوح فى الاختبارات الغير لفظية والتى تعتمد على الإدراك المكانى والتصور البصرى ، وأول من أكد وجود هذه القدرة بانجلترا الدكتور القوصى فى بحثه للدكتوراه عام ١٩٣٣ ، حيث رمز إلى العامل الدال على هذه القدرة بالحرف (K) ، وقد أعقبه ثرستون (Thurstone) بأمريكا ولكنه رمز إليه بحرف (S) ، وتقاس هذه القدرة الآن باختبارات قائمة على أشكال ورسوم من ذات البعدين أو ذات الأبعاد

الثلاثة ، وقد وجد أن الشخص الذى لديه هذا الاستعداد يكون فى الغالب قادرا على النجاح فى الدراسات التى تدخل فيها الهندسة المستوية والفراغية .

ويعطى هذا العامل أو الاستعداد بانجلترا الآن أهمية كبرى — خصوصا فى المحيط التعليمى — حيث يوجه التلاميذ إلى أنواع المدارس الثانوية الثلاثة (الثانوية العملية ، والثانوية العلمية ، والثانوية الحديثة) على نتائج عدد من الاختبارات التى يقيس بعضها هذا العامل . ولقد كان ذلك مدعاة لمحاولة التعمق فى تحليله ومعرفة الأعمار التى يتضح فيها وجوده بشكل ظاهر ، وأحسن الطرق لقياسه .

ومن أمثلة ذلك أبحاث (Slater) سنة ١٩٤٠ ، ووليمز (Williams) سنة ١٩٤٨ ، وإمت (Emmett) سنة ١٩٤٩ التى أكدت كلها أن هذا العامل يكون واضحا عند السن مابين ١١ ؟ ١٣ سنة وأن البنين دائما يفوقون البنات فى هذه القدرة .

٤ — القدرات الإدراكية : (Perceptual)

ويرمز إليها بالرمز (P). وقد وجه (Thurstone) عناية خاصة لدراسة هذه العوامل وحللها إلى : القدرة على إدراك الشكل الكلى العام كجشتالت أو مرة واحدة ؛ ثم القدرة على التحكم فى

نتائج خداع البصر وإدراك الأمور على حقيقتها ؛ ثم القدرة على التركيز وعدم التذبذب فى رؤية أوضاع خاصة للمدركات .

ويمكن أن نقول أن هذه العوامل الإدراكية هى أساس قوة الملاحظة .

وتدل الدراسات التى قام بها بلاكى (Blakey) عام ١٩٤١ على أن هناك ارتباطا كبيراً وتداخلا بين القدرة الادراكية (P) والقدرة على التصور البصرى (K) .

٥ — قدرات التوافق الحركى : (Motor-Coordination)

وتشمل المهارات الحركية (Motor Skills) ، والاتزان الحركى (Steadiness) ، والمهارة اليدوية (Manual Dexterity) كما تظهر فى الصناع المهرة والمثاليين ، ومهارة الأصابع (Finger Dexterity) كما تظهر فى أشغال الإبرة والموسيقى ، والتوافق بين اليد والعين (Hand - Eye - Coordination) كما تظهر فى الرسم والكتابة .

ولهذه القدرات كلها ارتباط كبير بالقدرة الميكانيكية أو العملية . ولها أهمية خاصة فى التوجيه المهنى .

٦ — القدرات الحسابية أو العددية : (Number)

ويرمز إليها بالرمز (N) . ويؤيد وجود هذه القدرات الحالات التى تذكر عن الموهوبين فى قدرات خارقة فيما يتعلق بعمليات حسابية معينة ، وكذلك وجود حالات — ضمن العائلات التى درسها (Galton) فى تتبع مشاهير العلماء — تثبت وجود المقدرة الرياضية فى عدد كبير من أبناء العائلة الواحدة ، مما يدل على الأصل الفطرى لها ؛ وكذلك الفروق الملحوظة فى التلاميذ العاديين من أبناء المدارس الذين يحددون مستقبلهم على أساس ما يشعرون به من وجود الاستعداد والميل نحو الأعداد والعلوم الرياضية عندهم أو عدمه ... وهكذا .

وتدل الدراسات التى عملت فى هذا المحيط مثل بحث شلر (Schiller) وكومب (Combs) ، وبيرت (Burt) على أن هذه القدرة العددية أيضاً مركبة من عدة قدرات : منها مايتعلق بالعمليات الميكانيكية ، ومنها ما يتعلق بالتفكير الحسابى ، كما أن هذه القدرة تمتد إلى استعمال الرموز والأشكال بجانب استعمال الأرقام فى أى صورة من صورها .

وهذه القدرات الأولية هى أساس القدرات الرياضية الأكثر تعقيداً ، كالقدرة على متابعة العلوم الهندسية والجبر وحساب المثلثات . . وهكذا .

٧ — قدرات التفكير : (Reasoning)

ويرمز إليها بالحرف (R) ، وكثيراً ما تختلط هذه القدرات بالقدرة العقلية العامة أو الذكاء . ولكن إذا أحسن اختيار الاختبارات التى يقصد بها قياس هذه القدرات ، فمن الممكن التأكد من وجودها بشكل واضح .

وتدرس هذه القدرات تحت أسماء مختلفة فهى تسمى أحيانا بالقدرات المنطقية (Logical) ؛ وتقسم بحسب أنواع القدرات التى تدخل فى عمليات التفكير ، فنجد أن ثرستون (Thurstone) مثلا يقسمها إلى : تفكير استقرائى (I. Inductive) ، وتفكير استنتاجى (D. Deductive).

أما بيرت (Burt) فيقسمها إلى : التفكير العلمى المنطق الصريح (Explicit) والتفكير الضمنى (Implicit) .

وقد وجد جلفورد ولیسی (Guilford & Lacy) سنة ١٩٤٧ أن قدرات التفكير يمكن تحليلها إلى : القدرة على التصميم ورسم الخطة ، والقدرة المنطقية فى الاستنتاج والتعميم ، ثم القدرة على الحكم والفصل فى المواقف .

٨ — القدرات الموسيقية : (Musical)

وهى من أبرز القدرات وأثبتها من حيث وضوح الفروق الفردية فيها ، ويمكن اعتبارها ضمن دائرة القدرات الفنية ، وقد وجد أن هذه القدرات الموسيقية تعتمد على ثلاثة أنواع من القدرات وهى : —

(ا) القدرات السمعية وتتضمن التمييز السمعى وتتبع التوقيت (Rhythm)

(ب) القدرات الحركية التي تساعد على استعمال الآلات الموسيقية بالمهارات اللازمة .

(ح) قدرات عقلية تساعد على الفهم والتفسير والتخيل والابتكار فى تأليف القطع الموسيقية .

وللقدرة الموسيقية ثلاث نواح وهى : الناحية الابتكارية وتتضمن التأليف والتلحين ، والناحية العملية وتتضمن العزف على الآلات الموسيقية ، والناحية التقديرية وتتضمن القدرة على النقد وتقدير الجمال الموسيقى . وتحتاج هذه النواحى إلى القدرات الست الآتية : —

١ — نضوج القدرة على إدراك وتعرف وتمييز الأصوات والنغمات الموسيقية .

٢ — القدرة على التعبير عن الأصوات والنغمات الموسيقية على الآلات أو بالغناء .

٣ — القدرة على اكتساب معرفة وتعلم الرموز الموسيقية .

٤ — هواية الموسيقى والرغبة فى تتبعها والاهتمام بها .

٥ — القدرة على الحكم وتقدير الجمال .

٦ — القدرة الابتكارية .

وهناك نوعان رئيسيان للقدرات الموسيقية وهما (ا) القدرة على الإنتاج الموسيقى (ب) القدرة على تذوق وتقدير الجمال الموسيقى

٩ — القدرة على الرسم : (Drawing Ability)

من الغريب أن لا نجد أبحاثا كثيرة حول هذه القدرة . ولكن المعروف أن القدرة على الرسم من القدرات التى بينها وبين الذكاء ارتباط قليل جداً مما يدل على كونها قدرة خاصة . ولكن قد تبين أيضاً أن للعوامل المزاجية دخلا كبيراً فى الاختلافات الفرديه فى هذه القدرة .

١٠ — القدرة على تقدير الجمال : (Aesthetic Appreciation)

لقد ثبت أن هذه القدرة لا تعتمد اعتماداً كلياً على الذكاء ولكنها تعتمد على قدرات أخرى خاصه ويمكن أن تميز من القدرات الجمالية ما يأتى : —

(ا) القدرة على تقدير القطع الأدبيه والشعر .
(ب) القدرة على تقدير المرئيات كالصور والرسوم .
(ح) القدرة على تقدير الموسيقى والغناء .

على أن الناس فى تقديرهم للجمال ينقسمون إلى نوعين فمنهم الموضوعيون الإدراكيون أو الحسيون الذين يحسون الواقع من حيث المساحات والشكل والأرضية والألوان . الخ . ثم المعنويون الذين يقدرون الجمال بناء على ما يستثار فى عقولهم من ذكريات ومعنويات وترابطات ذات علاقات معينه . فكلما كان فى الموضوع مجال واسع لإدراك علاقات جديدة واستثارة الخيال فى نواح كثيرة كلما كان ذلك داعياً إلى تقديره من حيث الجمال .

و يتفق العلماء على أن تقدير الجمال يتوقف على : (ا) عوامل موضوعيه (Objective) كأن يكون الموضوع بسيطا سهلا فى ادراكه وفهمه ولكنه أيضا غنى بالعلاقات المتنوعة التى تشبع الخيال والتفكير ، و (ب) عوامل شخصية (Subjectve) كالحالة المزاجية للشخص وثقافته الخاصة وميوله واتجاهاته العقليه وما لديه من قدرة على تقدير الجمال .

١١ — قدرات الذاكرة : (Memory)

بينما يعتقد ثرستون (Thurstone) بوجود عامل مشترك بين أنواع الذاكرات المختلفة . بحيث يمكن اعتبار التذكر قدرة خاصة

وبينما كان سبيرمان (Spearman) يعتقد أن القدرة على التذكر والحفظ لا تعتمد على الذكاء ؛ إلا أن الأبحاث التى أجريت فى هذا المحيط توضح أنه لا توجد قدرة واحدة تغطى أنواع الذاكرات المختلفة ، ولكن هناك قدرات متعددة بحسب تعدد أنواع التذكر سواء من حيث المادة أو الزمن . . ولكن أبحاث اناستازى (Anastasi) تدل على وجود قدرة خاصة للذاكرة الصماء أو التذكر الميكانيكى (Mechanical Memory) ، أما أنواع التذكر الأخرى فتتصل بعوامل اخرى كثيرة .

ويعتقد بعض العلماء أن الذاكرة ليست عمليات عقلية معرفية صرفه ، وإنما تعتمد أيضا على عوامل مزاجية أخرى بحيث لا يصح اعتبار الذاكرة من القدرات المعرفية البسيطة .

قدرات أخرى عامة وليست خاصة :

هذا ويصح أن نشير هنا إلى الاختلافات التى نلمسها أحيانا بين الأشخاص من حيث القدرة على الانتباه (Attention) ، ومن حيث السرعة (Speed) ، وهذه تعتبر عوامل عامة وليست قدرات خاصة — كما أنها تعتمد على صفات مزاجية وعوامل أخرى بعضها يتصل بالبيئة وبعضها يتصل بالتكوين الكيمائى والغددى والجسمي ، بجانب اعتمادها على القدرات المعرفية السابق ذكرها .

ومثل هذا ينطبق على ظاهرة القصور الذاتى (Perseveration) وهى السرعة التى تنتهى بها العمليات العقلية عند الشخص أو تستمر رغم انتهاء سببها . فهناك أشخاص لا يستطيعون التخلص بسهولة من فكرة تعرض لهم، أو لا يمكنهم بسهولة إبعاد موضوع يشغلهم أو نسيانه بسرعة ، بل لابد أن يأخذ منهم وقتاً . وهؤلاء تزدحم أفكارهم وتضطرب أحيانا بحيث تعكر عليهم صفو حياتهم، فنقول أن لديهم قصوراً ذاتياً كبيراً ؛ وهناك أشخاص على عكس ذلك تماما ؛ وغالبية الناس فى الوسط بين النوعين .

تلخيص :

ويمكن أن نلخص ما سبق قوله عن القدرات الفطرية الخاصة بتخطيط عام يوضح فكرتها فى ذهن القارىء كما يأتى : —

شكل يوضح الاستعدادات العقلية الخاصة

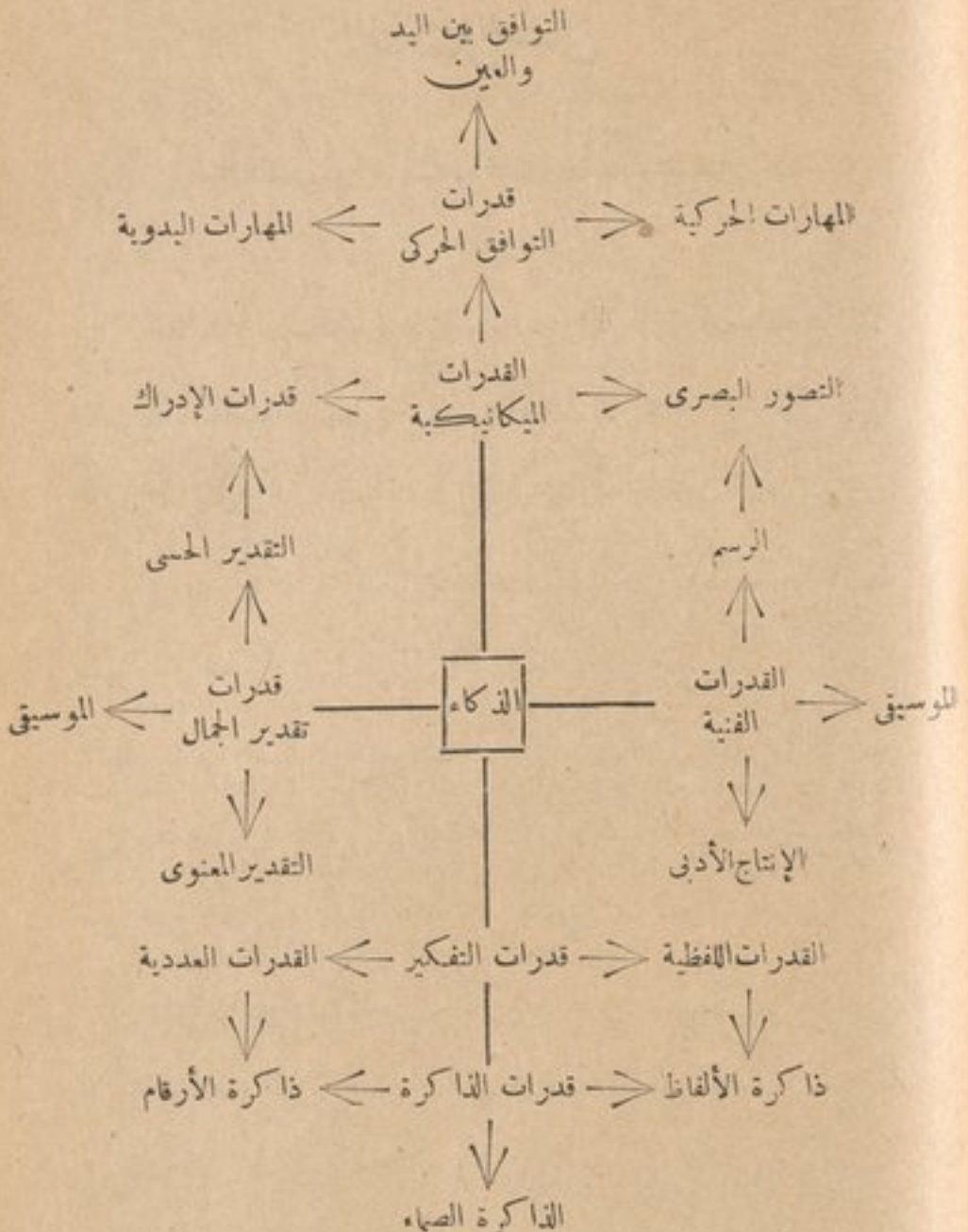

ويلاحظ أنه ليس من السهل أن ترسم العلاقات الصحيحة بين القدرات العقلية بحيث تسير على قاعدة واحدة مطردة . ولكن الغرض من هذا الشكل هو مجرد تقريب فكرة القدرات إلى ذهن القارىء ، ويمكن أن نجد منه كيف يمكن للقدرة الواحدة أن تتشعب إلى قدرات فرعية ، وكيف يمكن أن تتقارب الصلة بين بعض القدرات وتتباعد بين البعض الآخر .

الفصل السابع

القدرات المعرفية المكتسبة

تحدثنا فى الفصلين السابقين عن الذكاء والاستعدادات الفطرية الخاصة ، وهى تعتبر بمثابة المواد الخام التى تبنى عليها القدرات والمهارات المكتسبة التى سنتناولها بالبحث الآن .

وإذا كنا قد أكدنا أهمية الاستعدادات الفطرية — العامة منها والخاصة — فى تكوين الشخصية ، فإن القدرات المكتسبة لا تقل عنها أهمية ، خصوصاً وأن الاستعدادات الفطرية لا تعبر عن نفسها إلا عن طريق القدرات المكتسبة فيما يبديه الشخص من خبرة ومران ومقدرة ثقافية أو تعليمية .

والقدرات المكتسبة أكثر وضوحا وأسهل فى دراستها من الاستعدادات الفطرية ، إذ أنها خاضعة للقياس المباشر لاتصالها بما يظهر به الشخص فعلاً ، وبما يقوم به من أعمال وما يكتسبه من دراسات وثقافات ؛ بينما الاستعدادات الفطرية تعنى ما وراء هذه الأعمال وهذه القدرات المكتسبة من طاقة عقلية معرفية .

ويصح فى دراستنا للقدرات المكتسبة أن نقسمها كما اتفقنا إلى : —

١ — القدرة الثقافية العامة ، أو المستوى الثقافى العام .

٢ — القدرات الثقافية الخاصة كنواحى التخصص التعليمى والمهنى .

المستوى الثقافى العام

وهو يناظر العامل المعرفى الفطرى العام أو الذكاء ويتوقف عليه إلى حد كبير ؛ فكما أن هناك طبقات مختلفة من مراتب الذكاء ومستوياته فكذلك يمكن أن نجد من الأشخاص من يتميزون بقدرة ثقافية واسعة فى كل النواحى تقريباً وبصفة عامة ، ومن نجد ثقافاتهم محدودة وسطحية جداً بوجه عام ، كما أن من الممكن أن نميز درجات مختلفة فى المستوى الثقافى العام فنقسم الناس إلى طبقات ومراتب حسب هذه الدرجات .

وإذا كان الذكاء يقاس باختبارات الذكاء (Intelligence Tests) المبنية على إدراك العلاقات وعلى القدرة على التفكير والتصرف . . . الخ ، بصرف النظر عن التعليم أو المران والخبرة ؛ فإن القدرة الثقافية العامة تقاس باختبارات من نوع آخر ، حيث تشمل عينات مختلفة من جميع أنواع الثقافة وفروعها ، ومن أمثلة

هذه الاختبارات (General Information Tests) ، وترمى إلى الوقوف على مبلغ ما امتصه الشخص فعلا من الثقافات المختلفة من البيئة التى هو فيها ، سواء كان ذلك عن طريق التعليم المدرسى ، أو عن طريق الإذاعة والصحف والسينما ، أو عن طريق حياته اليومية فى المنزل أو الشارع أو المصنع ، أو عن أى طريق من طرق التفاعل مع البيئة .

وإذا كان الذكاء كاستعداد فطرى لا يتأثر كثيراً بالعمر الزمنى للشخص ، ولا بنوع التربية التى لاقاها الشخص ، ولا بنوع البيئة الجغرافية التى نشأ فيها ، بحيث نجد أن مستوى ذكاء الشخص في طفولته لا يختلف عنه فى شبابه ورجولته ، وبحيث نجد أن سكان الريف لا يختلفون فى الذكاء عن سكان المدن بصفة عامة ، وأن أفراد الشعوب الشرقية لايختلفون فيه عن أفراد الشعوب الغربية . . . وهكذا ؛ فإن المستوى الثقافى العام بطبيعته يتوقف على عوامل الزمان والمكان ، إذ أنه يعتبر مقياساً للعوامل الثقافية الخارجية المحيطة بالشخص ، بجانب كونه مقياساً لمدى ما اكتسبه الشخص منها .

وهنا يمكن أن نلمس أثر تداخل مكونات الشخصية وصعوبة الفصل بينها ، فقد كان من الممكن أن ندرس هذه الناحية الثقافية من مكونات الشخصية عند دراسة أثر البيئة فى تكوين الشخصية .

تأثير العامل الثقافى فى قياس الذكاء :

ويصح أن نشير هنا إلى تداخل عامل الذكاء مع القدرة الثقافية وأثر ذلك فى الاختلاف على معرفة حقيقة الذكاء وطبيعته ؛ فقد كان الذكاء يقاس عادة باختبارات تعتمد كثيراً على مؤثرات البيئة ، كالاختبارات اللفظية التى تتوقف على القراءة والكتابة ، بل وكانت الأسئلة تدور حول نواح ثقافية بحيث تتوقف الإجابات كثيراً على القدرة الثقافية العامة ؛ ولهذا كانت نتائج القياس غير ثابتة من اختبار إلى آخر وتختلف فى الشخص الواحد من وقت إلى آخر . . وهكذا . وأدى ذلك إلى الاختلاف فى الرأى عما إذا كان الذكاء وراثياً كله أو أنه يعتمد على الوراثة والبيئة معا . . . الخ . ولكن مقاييس الذكاء الحديثة تحاول أن تستبعد أثر عوامل الثقافة والبيئة إلى أقصى حد ممكن ، لتلافى بذلك أثر تدخل العامل الثقافى العام ؛ وحتى برغم هذا الاحتياط فإن اختبارات الذكاء الحالية لا يمكن تنقيتها تماماً بحيث تكون خالية خلواً أكيداً من أثر هذا العامل . ولهذا نجد كثيرين من الباحثين فى طبيعة الذكاء يحتاطون فى أحاديثهم عنه فيتكلمون عن : (ا) الذكاء من الوجهة النظرية البحتة ، وهو الاستعداد الفطرى الذى يعتمد على الوراثة تماما والذى لا تتأثر كميته عند الشخص مدى حياته منذ الولادة . . . الخ ؛ (ب) والذكاء كما تقيسه الاختبارات ، وهو

خليط من الذكاء الفطرى وجزء من العامل الثقافى العام ، ويمكن أن يقبل المناقشة من حيث كونه يختلف من اختبار إلى اختبار ، وكونه يتأثر بعوامل البيئة بحيث يمكن أن تتغير نتائج القياس إذا تغيرت ظروف البيئة ؛ ولكن برغم ذلك يجب أن نتذكر أن الاستعداد الفطرى يتحكم كثيراً فى القدرة الثقافية المكتسبة ، بحيث أن هذه القدرة لا يمكن أن تزيد عن حدود معينة فى الشخص الواحد بحسب ما يكون لديه من استعداد ، مهما تحسنت ظروف البيئة .

وفى اعتقادى أن البحث فى المستوى الثقافى العام (General Cultural Status) ، وأخذ نتائج قياسه فى الاعتبار عند الحكم على الشخصية ، لايقل فى أهميته عن قياس الذكاء ؛ إذ أن القدرة الثقافية العامة توضح لنا المحصلة النهائية لفعل كل من الذكاء والقوى الثقافية المختلفة ، وترينا الشخص كما هو ، بينما الذكاء يبين لنا الشخص كما يجب أن يكون .

ويمكن أن نلمس العلاقة بين الذكاء والعامل الثقافى العام إذا أخذنا مثالا عملياً فى المحيط التعليمى عند مانحتاج لدراسة حالات التأخر الدراسى مثلا ، فبعض هذه الحالات ترجع أسباب التأخر فيها إلى الغباء — أى نقص كمية الذكاء — وهنا لا يكون للتلميذ ذنب فى التأخر ، ويمكن تشخيص ذلك بإجراء اختبارات للذكاء

واستخراج العمر العقلى ومقارنته بالعمر الزمنى حيث نجد أن نسبة الذكاء تدل على الغباء . ولـكن بعض الحالات الأخرى نجد فيها الذكاء عالياً ، ولـكن الاستفادة منه واستغلاله فى التحصيل غير كافية ، بحيث لايتمشى تحصيل التلميذ وكسبه للمعلومات مع مالديه من ذكاء . وهنا يصـح البحث عن العوامل التى أدت لهذا القصور ، سواء كانت خاصة بالظروف المنزلية أو المدرسية أوالمزاجية أو غير ذلك . ويمكن تشخيص مثل هذه الحالات بإجراء اختبارات تحصيلية فى العلوم كلها — وهذه تمثل هنا اختبار المستوى الثقافى العام — ثم نستخرج العمر التحصيلى للتلميذ ونقارنه بالعمر العقلى لنحصل على النسبة التحصيلية ، حيث نجدها فى هذه الحالة دالة على التأخر التحصيلى .

ويلاحظ من المثال السابق أن المستوى الثقافى العام يعتبر أمراً نسبياً مرهوناً بنوع الثقافة التى يراد بحثها ، ويتوقف قياسه على ظروف البيئة والوسط ، بحيث يصعب جداً مقارنة العامل الثقافى العام لمجموعات متباينة فى نوع الثقافة أو البيئة ؛ فالمستوى الثقافى العام لسكان الغابات مثلا يختلف فى أسسه ومكوناته عن المستوى الثقافى العام لسكان الصحارى . . وهكذا ، فقيمة قياس المستوى الثقافى العام إذن تظهر أهميتها عند مقارنات الأشخاص الذين تحيط بهم ظروف متشابهة حيث تسهل المقارنة على أسس واحدة .

ويمكن أن ندرك مبلغ أثر العامل الثقافى العام فى تكوين الشخصية إذا قارنا بين الأشخاص ذوى الثقافات المتفاوتة فى مستوياتها ، من حيث مكانتهم الاجتماعية وقدرتهم على التعامل فى البيئة وأثر ذلك فى نجاحهم فى الحياة ، بما يوازى ما سبق قوله عن الذكاء .

القدرات الثقافية الخاصة

بجانب ما قد يكون عند الشخص من قدرة ثقافية منوعة واسعة أو ضيقة فى جميع النواحى بصفة عامة ، فإن هذا لا يمنع أن يكون متميزاً فى نوع خاص من أنواع الثقافات فيبرز فيه دون غيره ، ويوجه إليه اهتمامه بشكل خاص .

ويتوقف وجود هذه القدرات الثقافية الخاصة عند الشخص على عوامل شتى بعضها يتصل بنوع الاستعدادات الفطرية الخاصة لدى الشخص — وهذه من شأنها أن تؤثر فى تخصص الفرد واتجاهه نحو مهنة معينة أو نحو ثقافة نوعية خاصة تناسب هذه الاستعدادات — وبعضها يتصل بعوامل أخرى كالتسهيلات المحيطة به والتى تمكنه من كسب ثقافات خاصة دون غيرها ، وبعضها يتصل بظروف الشخص الصحية والمزاجية . . وهكذا .

ولهذا نجد أن هـذه القدرات الثقافية الخاصة تتصل كثيراً بما يسمى الميول الخاصة (Special Interests) ؛ وهـذه الميول والقدرات الثقافية الخاصة يمكن أن تتعدد وتتنوع بحسب تشعب العوامل الكثيرة التى تتفاعل فى تكوينها ، ولهذا فمن المستحيل أن نتمكن من حصر عددها ، ولكن من الممكن أن نحاول دراسة بعض التصنيفات الرئيسية لها ، والتى على ضوئها يمكن أن نميز أنواعا مختلفة من الشخصيات بحسب ما لديهم من هذه القدرات المكتسبة الخاصة .

ويصح أن نستعين بتصنيف أرسطو فنقسم هـذه القدرات إلى : (١) نظرية و(٢) عملية ؛ وهذا لايختلف كثيراً عن التقسيم الذى أخذ به بيرت (Burt) وهو : (١) قدرات تعليمية (٢) قدرات مهنية . وقد وجد فرنون (Vernon) من نتائج التحليل العاملى للاختبارات المختلفة التى أجريت على الكبار عند الالتحاق بالجيش ، أو تلك التى أجريت فى محيط التوجيه التعليمى والمهنى ، أن من الممكن تقسيم القدرات العقلية إلى : (ا) قدرات تعليمية لفظية (V.Ed) و(ب) قدرات عملية (K-M) ، وأن كلا من هذين القسمين يمكن اعتباره قدرة طائفية واسعة ينطوى تحتها عدد من القدرات الطائفية المتفرعة منها . . كما أن من الممكن الاستمرار

فى هذا التقسيم حتى نصل إلى القدرات النوعية ، كما يتضح من التنظيم التدريجى الآتى : —

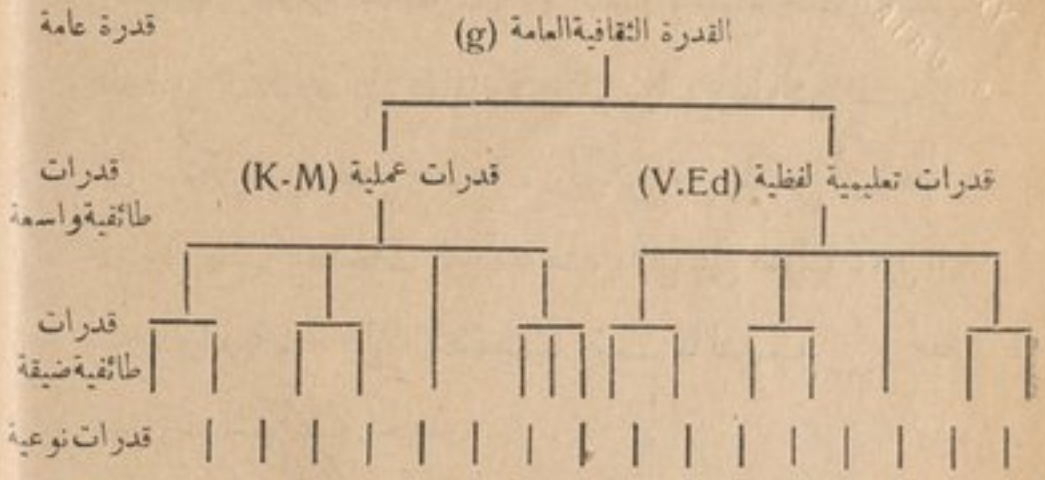

(١) القدرات النظرية التعليمية :

وتظهر بوضوح وجلاء فى محيط التحصيل المدرسى ، وتشمل ما يأتى : —

١ — القدرات اللغوية : وأساسها الاستعدادات اللفظية وقدرات الإدراك ، والذاكرة . . . ويمكن أن نميز فروعا مختلفة لهذه القدرات مثل المطالعة أو القراءة ، والتحرير أو الكتابة .

٢ — القدرات الرياضية : [١] وتعتمد على القدرة العددية الحسابية ، والقدرات المنطقية ، والقدرة على التصور البصرى ؛

(١) أنظر رسالة المؤلف للدكتوراه وموضوعها : تحليل القدرات الرياضية .

ويمكن أن نلمس ذلك فى فروع الرياضية المختلفة . . ويصح أن نشير هنا إلى أن القدرات الرياضية لا تعتمد كثيراً على القدرة اللفظية ، وأن قدرات التفكير الرياضى لاتعتمد كثيراً على قدرات التذكر ، وأن القدرة الهندسية تعتمد على القدرة المنطقية وعلى التصور البصرى .

٣ — القدرات الأدبية : وأساسها القدرة اللفظية ، وقدرات الحفظ والتذكر ، وقدرات التفكير اللفظى . . . وتظهر فى الميل لدراسة المواد الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والدراسات القانونية .

٤ — القدرات العلمية : وتعتمد على القدرات الإدراكية ، وقدرات التصور البصرى ، وقدرات التفكير العلمى ، ويتضح هذا جليا فى العلوم الطبيعية وعلوم الأحياء . .

٥ — القدرات الفنية : وتعتمد على الاستعدادات الفنية وتقدير الجمال ، وقدراتِ التوافق والاتزان الحركى ؛ وتتضح فى هوايات الرسم والموسيقى والتصوير . . . وهكذا .

٦ — القدرات التعليمية العملية : وتعتمد على القدرات الفنية والقدرات الميكانيكية والمهارات اليدوية . . كما يتضح فى قدرات التدبير المنزلى والهوايات العملية كفلاحة البساتين والأشغال اليدوية .

٧ — القدرات الدينية : وتعتمد على عوامل مزاجية بجانب العوامل المعرفية ، وتتأثر أيضاً بعوامل البيئة ، وتختلف أسسها بحسب السن الذى يراد دراستها فيه . . .

ويجدر أن نستغل دراستنا للاختلافات الفردية فى هذه القدرات الفطرية والمكتسبة عند توجيه التلاميذ إلى أنواع التعليم الثانوى المختلفة أو عند التخصص فى التعليم الجامعى .

ويصح أن نؤكد هنا أنه لا توجد حدود فاصلة بين القدرات النظرية والعملية ، لأن كثيراً من القدرات المكتسبة تعتمد على كل من الثقافة النظرية والمران العملى ، ويتضح ذلك بوضوح أكثر فى المهن التعليمية التى سيأتى ذكرها بعد .

(ب) القدرات العملية المهنية :

وتبنى على ما لدى الشخص من استعدادات فطرية عملية كالقدرات الميكانيكية ، وقدرات التصور البصرى ، وقدرات التوافق الحركى ، والمهارات اليدوية . . وغير ذلك ويمكن أن نقسمها إلى : —

١ — القدرات المهنية التى تتطلب ثقافة نظرية ، كالطب والهندسة والصيدلة والزراعة . . الخ .

٢ — القدرات المهنية التى تتطلب مراناً آلياً ، كالاشتغال بأعمال الصناعات المعدنية ، أو الغزل والنسج ، أو النجارة وأعمال البناء .

٣ — القدرات المهنية الاجتماعية كالصحافة ، وأعمال التأمين ، والتربية والتعليم ، والخدمة الاجتماعية .

٤ — القدرات التى تعتمد على مهارات جسمية وحركية كالنواحى المختلفة للنشاط الرياضى والتربية البدنية .

٥ — القدرات المهنية الفنيـة التى تتطلب مهارات تتصل بالقدرات الجمالية . كهواية الرسم وصناعة التماثيل والتصوير .

٦ — القدرات المهنية الـكتابية .

ومن المهم أن نلاحظ أن هناك تفاعلا متبادلا بين كل من القدرات الثقافية الخاصة والتخصص المهنى ، حيث نجد أن الثقافة التى تحيط بالشخص تؤثر كثيراً فى اتجاهه نحو مهنة دون أخرى . كما أن التخصص المهنى نفسه يؤثر فى نوع الثقافة التى يهتم بهـا الشخص . وينطبق هذا القول على التخصص التعليمي أيضاً .

ويصح ألا نتجاهل أثر العوامل المزاجية فى جميع هـذه الحالات .

أنواع الشخصية بحسب الميول الثقافية

على ضـوء الاختلافات الفردية بين الأشخاص فى ميولهم الثقافية يمكن تقسيمهم إلى أنواع متباينة ، حيث نجد فى كل نوع أثر العامل الثقافى فى الطابع العام للشخصية .

ومن التقسيمات المشهورة فى هـذا الاتجاه تقسيم سبرانجر (Spranger) إلى الستة أنواع الآتية : —

١ — الشخص الذى تغلب فيه الثقافة النظرية : (Theoretical)

وهذا يهتم بالبحث عن الحقيقة ، ونظرته للحياة يغلب عليها النزعة المعرفية من ملاحظة واستنتاج ونقد ومقارنة ، ليصل إلى نوع من تنظيم المعلومات ، ومن أمثلة هؤلاء من يتفرغون للبحث فى النظريات والقوانين العلمية .

٢ — الشخص الذى تغلب فيه الثقافة الاقتصادية : (Economic)

وهذا يهتم بمـا فيه فائدة أو نفع ، فيتجه اتجاهاً عملياً يحقق له ميوله ، كالاشتغال بالتجارة وتفهم أصـولها ودراسة أحوال السوق والأسعار المالية ، وما يتصل بجمع الثروة وتدبير المال . . ولذا يهتم بالثقافة ذات القيمة النفعية ، ويعتبر الثقافة النظرية

مضيعة للوقت وعديمة القيمة . وتتأثر شخصيته تبعاً لهذا النوع من الاتجاه ، فيبنى علاقاته بالناس على أساس منفعته وتفوقه عليهم فى الثروة ، بدل الاتجاه إلى معاونتهم أو خدمتهم اجتماعياً . وحتى نظرته إلى الدين تتوقف على مبلغ ما ييسر له الله من سبل تحسين حالته الاقتصادية . . وهكذا .

٣ — الشخص الذى تغلب فيه الثقافة الفنية : (Esthetic)

وهذا يهتم بما يتصل بالجمال والنظام والترتيب والذوق السليم ، وهو يرى الحقيقة فى الجمال — وتتصل ثقافاته ودراساته وميوله بالبحث فى هذه الأمور . ويكون مرهف الحس ويغلب على حياته التأمل وحب العزلة .

٤ — الشخص الذى تغلب فيه الثقافة الاجتماعية : (Social)

وأعظم قيمة عند هـذا الشخص هى حب الناس ، والعمل لصالح الأفراد والجماعات ، فيـكون عطوفاً محباً للخير بعيداً عن الأنانية ، ولا تعجبه النزعات المادية أو الشخصيات الاقتصادية أو النظرية ، وهو قريب إلى نوع الشخصية الدينية . ومن أمثلته المصلحون الاجتماعيون والمدرسون .

٥ — الشخص الذى تغلب عليه الثقافة السياسية : (Political)

وهذا يهتم بالقوة قبل كل شىء ، وهو ينزع إلى المنافسة وحب السيطرة ، ويحاول أن يكتسب من الثقافات ما يمكنه من

التأثير فى غيره ، والتفوق عليهم بالحجج والبراهين ، فيتجه لدراسة القانون والمحاماة والاقتصاد والاجتماع والخطابة والصحافة إلى غير ذلك .

٦ — الشخص الذى تغلب عليه الثقافة الدينية :(Religious)

ويغلب على حياة أمثال هذا الشخص التفكير فى الخالق والتعمق فى التأمل والتدين . . فيرون سعادتهم فى مدى طاعتهم للدين وتمسكهم به . . وتتخذ هذه النزعة مظهراً متطرفاً فى حالات التصوف والرهبنة .

ويلاحظ أن معظم الناس خليط من هذه الأنواع كلها بحيث يصعب فى كثير من الأحيان أن نعين إلى أى نوع منها ينتمى كل شخص . كما أن الذى يحدد نوع الشخصية ليس مجرد العوامل الثقافية وحدها وإنما يحدث ذلك نتيجة تفاعل مكونات الشخصية مجتمعة .

ومن الممكن أن نقسم الناس بحسب ثقافاتهم على أسس أخرى كأن نقارن بين الشخصية ذات الثقافة الرياضية والشخصية ذات الثقافة اللغوية والشخصية ذات الثقافة الأدبية والشخصية ذات الثقافة الزراعية . . وهكذا . وطبيعى أن الفوارق بين هذه الشخصيات يمكن أن نلمسها بوضوح كبير فى كثير من الحالات .

مراجع :

1. A. Anastasi : Differential Psychology.
2. M. K. Barakat : Factors Underlying The Mathematical Abilities. PH. D. Thesis.
3. C. Burt : The Structure of the Mind : A Review of the Results of Factor Analysis. B. J. Ed. Psy. Vol. XIX.
4. R. B. Cattell : Description & Measurement of Personaliy.
5. A. A. H. El Koussy : The Visual Perception of Space B. J. Psy. Mon. Sup. No. XX.
6. C. Spearman : The Abilities of Man .
7. C. Spearman & Wynn Jones L. L. : Human Abilities.
8. L. L. Thurstone : Primary Mental Abilities.
9. P. Vernon : The Structure of Human Abilities.

الفصل الثامن

النواحى المزاجية

التكوين المزاجى كالتكوين الجسمى وكالقدرات العقلية المعرفية تعتبر المواد الخام التى يتكون عليها الخلق وتبنى عليها أساليب السلوك ، بل إن التكوين المزاجى يعتبر أبرز نواحى الشخصية وأهمها فى تكوين الحالات النفسية التى تدل على مدى اتزان السلوك أو اعوجاجه ؛ ولهذا نجد أن الباحثين فى موضوع الشخصية يولون التكوين المزاجى جل اهتمامهم ، لدرجة أن بعضهم يعتبر أن الشخصية لا تعنى أكثر من النواحى المزاجية والخلقية متجاهلين ما عدا ذلك .

ويتضح هذا بجلاء خصوصاً فى دراسة الشخصية فى حالات الأمراض والانحرافات النفسية ، حيث تعتبر الاضطرابات الانفعالية والمزاجية أساساً لمظاهر الشذوذ وأسباب الانحلال فى معظم الحالات .

ويمكن تقسيم النواحى المزاجية كما قدنا إلى : (١) نواح موروثة و (٢) نواح مكتسبة ، على أن هذا لا يعنى وجود حدود

فاصلة بينهما ، فالحالة المزاجية لأى شخص تنتج من تفاعل وتداخل العوامل كلها وليس من السهل أن نجد عوامل كلها مكتسبة أو عوامل كلها موروثة .

معنى التكوين المزاجى :

يتضمن المزاج (Temperament) تلك الاستعدادات الثابتة نسبياً ، المبينة على مالدى الشخص من الطاقة الانفعالية والدوافع الغريزية التى يزود بها من بداية طفولته ، والتى تعتبر وراثية فى أساسها ولذا لا تتغير كثيراً طول حياته ، والتى تعتمد على التكوين الكيميائى والغددى والدموى وتتصل اتصالا وثيقاً بالنواحى الفسيولوجية والعصبية ، والتى تظهر فى الحالات الوجدانية والطباع والمشاعر ، وفى الدوافع والغرائز والانفعالات من حيث سرعة استثارتها أو بطئها ، ومن حيث قوتها أو ضعفها ، ومن حيث قابليتها للبقاء أو الزوال أو التغير .

و بذلك نجد أن النواحى المزاجية تشمل ما يأتى : —

١ — الطاقة المزاجية العامة .

٢ — النماذج المزاجية الطائفية .

٣ — الصفات المزاجية الخاصة .

٤ — النواحى المزاجية التى تغلب فيها العوامل المكتسبة كالعواطف والعقد النفسية .

الطاقة المزاجية العامة

يفترض علماء النفس وجود طاقة عقلية (Mental Energy) عامة وراء السلوك كله ، وأن هذه الطاقة تعبر عن نفسها فى صور مختلفة ، فنجد مثلا الطاقة المعرفية التى يعتبر سبيرمان (Spearman) أنها أساس الذكاء العام ، ونجد أيضاً الطاقة الانفعالية التى يعتبرها مكدوجل (McDougall) منبع المسالك الغريزية ، وهذه هى التى يمكن اعتبارها أساس الطاقة المزاجية .

وليس من السهل معرفة كنه هذه الطاقة العقلية أو النفسية ويكفى أن ندرس مظاهرها ، كما أن من الصعب أن نحدد الصلة بين هذه الطاقة العقلية و بين الطاقة العصبية (Neural Energy) التى يدرسها علم الفسيولوجيا، أو الطاقة الطبيعية (Physical Energy) التى أمكن قياسها ومعرفة القوانين التى تخضع لها فى علوم الرياضة والطبيعة .

غير أن افتراض وجود الطاقة الانفعالية أو المزاجية يسهل تفسير كثير من الظواهر النفسية ، ولذا نجد أن بيرجسون (Bergson) قد افترض وجود ما سماه بالطاقة الحيوية (Elan Vital) كما أن فرويد (Freud) قد افترض وجود الهى (Id) ، وافترض

يونج (Jung) وجود الليبيدو (Libido) ، وكلها لا تخرج فى معانيها عن الطاقة الانفعالية العامة . . وقد وجد بيرت (Burt) أيضاً من أبحاثه بالتحليل العاملى فى محيط النواحى المزاجية ما سماه بالانفعالية العامة (General Emotionality) التى يعتبرها موازية للطاقة النزوعية (Conative Energy) .

الاختلافات الفردية فى الطاقة الانفعالية :

والذى يهمنا هنا هو أن هذه الطاقة المزاجية تعتبر من المكونات الهامة للشخصية ، وأن الناس يختلفون فيما لديهم من هذه الطاقة العامة من حيث الكمية والنوع وأساليب التحكم فيما لديهم منها . فقد دلت الملاحظات والأبحاث التجريبية على أن بعض الناس يولدون مزودين بكمية كبيرة من الطاقة الانفعالية ، وبعضهم يرثون كمية قليلة من هذه الطاقة ، ويمكن أن نجد درجات متفاوتة بحسب ما عند الأشخاص من هذه الطاقة الانفعالية .

ويتميز من لديهم طاقة انفعالية كبيرة بقوة انفعالاتهم وعنفها بصفة عامة ، ولذا يصعب عليهم كبح جماحها لشدتها ، وتقل قدرتهم على السيطرة عليها ، فتظهر عليهم علامات القلق وعدم الثبات وعدم الاستقرار المزاجى . أما من تكون طاقتهم الانفعالية

محدودة وقليلة فيتصفون بالخمول والبرود الانفعالى والبلادة المزاجية (Temperamental Apathy) فتجد انفعالاتهم بطيئة الاستثارة ومشوبة بالوهن والضعف . وبين هذين النقيضين المتطرفين نجد درجات متفاوتة . على أن النوع المعتدل بين هؤلاء يظهر فى الأشخاص المتميزين بالاتزان فى التكوين المزاجى فيتصفون بالاستقرار والثبات الانفعالى (Emotional Stability) ، وهذا يسهل عليهم التكيف مع العالم الخارجى بدون صراع أو عنف فتكون حياتهم الانفعالية بعيدة عن الاضطراب والانحراف . . ولهذا تعتبر صفة الثبات الانفعالى من أهم الصفات النفسية التى تؤخذ فى الاعتبار عند قياس الشخصية أو الحكم عليها .

ويتصل بالاختلافات الفردية فى الأشخاص من حيث الطاقة الانفعالية الطريقة التى يتحكمون بها فى قواهم الانفعالية حيث يمكن أن نجد أساليباً مختلفة لهذا التحكم ؛ فهناك من تغلب عليهم الانفعالات فى تعبيرها بشكل مبالغ فيه (Overexpressive) ، وهناك من يغالون فى ضغط انفعالاتهم وكبتها (Repressive) ، ومن ينجحون فى قمع الانفعالات بشكل يضطرها للظهور فى مسالك غير طبيعية كأن تظهر فى مسالك ذات أعراض جسمية (Psychosomatic Outlets) ، ومن تلح عليهم انفعالاتهم فتظهر فى شكل إصرارات ملحة (Obsessive Cmpulsive)

ومن تضطر الانفعالات عندهم إلى النكوص (Regression) لنوع بدائى من أنواع السلوك ، أو تظهر فى مسالك انسحابية (Withdrawal Outlets) . . . وهكذا . .

ويمكن أن ننظر إلى الطاقة الانفعاليـة العامة من حيث الصفات الانفعالية الغالبة فيها حيث نجد أن بعض الأشخاص مثلا تتميز عندهم القوة الانفعالية فيما يتصل بالنزعات العدوانية أو القتال أو حب السيطرة ؛ بحيث يصلح أن نطبق عليهم نظرية أدلر (Adler) فى أن الصبغة الغالبة فى الطاقة الحيوية هى النزعة إلى القوة (Will Power) ، وأن ما يصح أن يحدث لهؤلاء من اضطرابات أو مشاكل نفسية يمكن أن ترجع إلى ما يعترى هذه النزعة من عقبات أو صعوبات . بينما نجد البعض الآخر تتميز طاقتهم الانفعالية فى النواحي الجنسية فيصلحون أمثلة لتطبيق نظرية فرويد (Freud) التى تعتبر أن الصفة الغالبة فى اللبيدو هى النزعات المتصلة بالغرائز الجنسية ، وأن ما يصح أن يحدث لهؤلاء من اضطرابات أو مشاكل نفسية يمكن أن ترجع إلى ما يعترى هذه النزعات من عقبات وصعوبات . . . وقياساً على ذلك يمكن أن نميز أنواعا مختلفة من الشخصيات بحسب أنواع الانفعالات الغالبة فيهم . . .

النماذج المزاجية الطائفية

نظراً لوضوح التميز بين طوائف معينة من الأشخاص من حيث الصفات المزاجية فقد اهتم العلماء منذ القدم بدراسة سيكلوجية الأنماط المزاجية (Temperamental Types) ، فقسموا الناس إلى أصناف ، واهتموا بدراسة الصفات المميزة لكل صنف ، ومن أهم هذه التقسيمات ما يأتى : —

التصنيف الرباعى :

ويتخذ هذا التقسيم صوراً مختلفة فيها كثير من الشبه ، ومن أمثلته تقسيم إمبيدوكل (Empedocles) إلى الشخص : الهوائى ، والنارى ، والترابى ، والمائى . ويناظر ذلك تقسيم هيبوقراط (Hippocrates) بحسب الأخلاط الكيمياوية إلى الشخص صاحب المزاج : الدموى ، والصفراوى ، والسوداوى ، والبلغمى أو اللمفاوى . ويناظر ذلك أيضاً تقسيم فونت (Wundt) بحسب سرعة الانفعالات وبطئها مع شدتها أو ضعفها ، أو من حيث العمق وعدمه مع اتساع الانتشار أو ضيقه ، أو من حيث السرور وعدمه مع سرعة الاستثارة أو الهدوء . حيث يميز الأنواع الأربعة الآتية وهى : (١) المتفائل (Sanguine) . و (٢) المقاتل الشجاع

(Choleric) و (٣) الحزين الهادىء (Melancholic) و (٤) البليد الضعيف فى انفعالاته (Phlegmatic) .

وتوجد ارتباطات كبيرة فى هـذه التصنيفات بين الصفات المزاجيـة والانفعالية وبين المميزات الجسمية كالطول والقصر والبدانة أو النحافة وأشـكال العضلات والتـكوين العظمى (Bony Structre) وتعبيرات الوجه . . . وغير ذلك .

وإلى القارىء وصفاً موجزاً لـكل طائفة فى هذه التقسيمات الرباعية : —

١ — صاحب المزاج الهوائى أو الدموى : وهو الشخص المتفائل (Sanguine) الذى يشعر بالسعادة ، والذى تظهر على وجهه علامات الرضا والانبساط ، فيكون متناسق التكوين فى ملامح وجهه وتكوينه العضلى والعظمى ، ويغلب على انفعالاته الجانب السار ، وتـكون سهلة الاستثارة فى غير عمق أو ضيق ، ولا تدوم طويلا .

٢ — صاحب المزاج النارى أو الصفراوى : وهو الشخص الذى تبدو عليه أمارات الشجاعة وحب القتال (Choleric) ، فتظهر على ملامح وجهه علامات التحفز والقوة والصحة ، ويكون

مفتول العضلات قوى العظام ، وانفعالاته عميقة قوية سريعة سهلة التعبير ، ولكن يغلب عليها الجانب الجدى وقلة السرور .

٣ — صاحب المزاج الترابى أو السوداوى (Melancholic) :

وهو الشخص المتأمل المفكر الخيالى الذى يشبه الفنان النحيل أو المحب الولهان ، فتظهر على ملامح وجهه علامات القلق والانطواء على النفس ، ويكون أميل إلى ضعف الصحة ونحول الجسم وبروز العظام ، وتجد وجهه مثلث الشكل ضيقاً طويلا ، أما انفعالاته ففى الغالب مكبوتة ولكنها تكون قوية وعنيفة وعميقة إذا استثيرت ، ولا تنتشر كثيراً بل تشمل دائرة ضيقة محدودة ، ويغلب على مثل هذا الشخص الهدوء وعدم الشعور بالسرور . .

٤ — صاحب المزاج المائى أو اللمفاوى (Phlegmatic) :

وهو الشخص الغير مكترث ، البدين الأكول الكسول المتبلد ، فتجد وجهه مستديراً ممتلئاً ، وجلده غليظاً وجسمه مغطى بالدهن بحيث لا تبرز فيه العظام ، ولا تظهر على وجهه علامات التعبير الانفعالى بسهولة ، وذلك لأن انفعالاته سطحية وهادئة وضعيفة وبطيئة الاستثارة ، ويغلب على حياته المرح والسرور .

ويمكن مطابقة هذه الصفات بالنظر إلى صور الوجوه الآتية التى تمثل الأنواع الأربعة من الأمزجة السابقة .

الناس من وجوههم

(١) المتفائل (الدموى)

(٢) الشجاع (الصفراوى)

(٣) المتأمل (السوداوى)

(٤) البليد (البلغاوى)

الأمزجة الأربعة : عن كتاب (Allport) صفحة ٦٨

تصنيف كرتشمر (Kretschmer) :

ويعتبر من أهم التصنفات المبنية على أسس علمية ، وفكرته مبنية على ما وجده كرابلن (Kraepelin) من الاختلاف والتباين الواضح فى شخصية من يصابون بنوعين رئيسيين من الأمراض العقلية ، وهما الذهان الدورى (Manic-depression) والفصام (Schizophrenia) . فقد حاول كرتشمر بدراسة عدد كبير من مرضى العقول أن يبحث عن وجود علاقة بين الصفات الجسمية وبين الإصابة بأحد هذين المرضين ، فتوصل إلى أنه على وجه العموم يتصف المصابون بالفصام بطول القامة ونقص الدهن والنحافة ، بينما يتصف المصابون بالذهان الدورى بالقصر وامتلاء الجسم ؛ فاستنتج من ذلك أن من الممكن تقسيم الأشخاص العاديين إلى ما يوازى هذين الصنفين من حيث الطابع المزاجى المتمشى مع الصفات الجسمية ، فيكون هناك : —

١ — الشخص المقفل على نفسه ، الهادىء المتأمل ، النحيل الجسم الطويل القامة الخفيف الوزن الطويل الأطراف الضيق الصدر ، الأقرب إلى النوع الفصامى . ويتميز بشدة الحساسية والنمسك بالمثل العليا ويسمى (Asthenic) .

٢ — الشخص المتقلب المرح السهل التعبير عن نفسه ، الأقرب إلى الذهان الدورى . ويتميز بالتفاؤل والميل إلى التعبير

العملى عن طاقته ، ويكون ممتلىء الجسم ثقيل الوزن غليظ الرقبة قصير الساقين عريض الوجه . . . الخ ، ويسمى (Pyknic) .

وقد أضاف كرتشمر إلى هذين النوعين الرئيسيين نوعين آخرين وهما : —

٣ — الشخص الرياضى الذى يتميز بحسن تكوينه العضلى والذى يكون متوسطاً بين النوعين السابقين مع قربه إلى النوع الفصامى ويسمى (Athletie) .

٤ — النوع الذي لا يمكن أن يتميز بشىء مما سبق فى الأنواع الثلاثة السابقة ويسمى (Dysplastic) .

تصنيف يونج (Jung) :

وهو يشبه كثيراً تقسيم كرتشمر ، غير أن يونج يبنى تقسيمه على أساس أسلوب تعبير الشخص عن طاقته الحيوية أو اللبيدو (Libido) ، حيث نجد بعض الناس يوجهون هذه الطاقة الحيوية نحو الداخل أو نحو أنفسهم ، وهؤلاء يسمون بالداخليين (Introverts) أو الباطنيين أو المنقبضين ؛ بينما نجد البعض الآخر يعبرون عن هـذه الطاقة الحيوية بتوجيهها نحو الأشياء أو الناس أو نحو الخارج ، وهؤلاء يسمون بالخارجيين(Extroverts) أو الظاهريين أو المنبسطين .

ويتصف الباطنيون بالحساسية والخجل والتأمل والحذر ، والانكماش والهدوء وحب العزلة والاستغراق فى عالم الخيال ، ولذا تنطبق عليهم تقريباً أوصاف الطائفة الأولى من تصنيف كرتشمر (Asthenic) ، حيث يكونون أقرب إلى الإصابة بالأمراض النفسية التى تظهر أعراضها فى الانهباط والانسحاب من الواقع كالفصام والملانخوليا والوساوس .

أما الظاهريون فيتصفون بحب الاختلاط والمرح والجرأة وكثرة التحدث وسهولة التعبير وحب الظهور ، ويكونون ميالين لمجاراة الواقع فى تفاؤل وانشراح ، ولذا تنطبق عليهم تقريباً أوصاف الطائفة الثانية من تصنيف كرتشمر (Pyknic) حيث يكونون أقرب إلى الإصابة بالأمراض النفسية التى تظهر أعراضها فى التقلب المزاجى وسهولة التعبير الانفعالى مثل الهوس (Mania) والهستريا والذهان الدورى .

ومن الممكن أن نقول أن بين هذين النقيضين يوجد عدد كبير من الناس الممكن اعتبارهم معتدلين ويسمى هؤلاء (Ambiverts) ويمكن أن توازى هذه الطائفة الأنواع الباقية من تقسيم كرتشمر حيث نجد هؤلاء عاديين متوسطين بحيث يصعب الحكم على انتمائهم لأحد النوعين المتطرفين .

وقد ذهب يونج فى تقسيماته إلى درجات أكثر دقة من ذلك ولكن لا داعى للاسترسال فيها هنا [١] .

تقسيمات أخرى :

وهناك تقسيمات أخرى كثيرة مبنية على أثر التغيرات الجسمية فى تكوين الحالة المزاجية كتقسيم نكراتى (Naccarati) على أساس نسب الأبعاد الجسمية (Morphologic Index)، وتقسيمات أخرى بحسب إفرازات الغدد الصماء (Endocrine Glands) ، وتقسيم ولوبى (Willoughby) بحسب النضج الانفعالى ، وتقسيم أبفلباخ (Apfelbach) بحسب الصفات الجنسية . . . وهكذا .

على أن من الصعب التقيد بهذه التقاسيم تماما ومحاولة تطبيقها فى الأشخاص العاديين ، ولكن يمكن أن تتضح أهميتها فى الحالات المتطرفة كالأنواع المختلفة من الأمراض النفسية والعقلية .

الصفات المزاجية الخاصة

إلى هنا كان الحديث عاما عن الطابع المزاجى العام ، وأنماط السلوك المزاجية الطائفية أى التى تتوقف على تفاعل طائفة من الصفات الانفعالية . والآن نبحث تلك النواحى المزاجية الأكثر

(١) انظر الكتاب الأول أسس علم النفس للدكتور القوصى الفصل ١٥

تخصصاً ، أى التى تتوقف على نوع معين من الانفعالات الخاصة . فمن المشاهد أحيانا أن بعض الأشخاص تظهر عندهم صفة انفعالية بارزة فى ناحية خاصة ، فيتأثر بها أسلوب سلوكهم إلى درجة ملموسة ، ومن أمثلة ذلك ما يأتى : —

حب الاستطلاع : فبعض الناس يكون عندهم هذا الانفعال واضحا بشكل يضطرهم أحيانا إلى الدأب على البحث وراء الحقيقة والتنقيب فى الكتب والتأمل فى أسرار الطبيعة ودراستها ، ومن هؤلاء العلماء والصحفيون الذين يوجهون هذا الانفعال توجيها صالحا. وهناك من تضطرهم قوة هذا الدافع إلى التجسس ومحاولة الوقوف على أسرار الغير ، ومن هؤلاء الجواسيس ومسترقو السمع الذين يوجهون هذا الدافع توجيها آخر . و بعض الناس يكون لديهم هذا الدافع ضعيفا فنجدهم قليلى الأهتمام غير محبين للبحث أو الدراسة . . . الخ .

حب السيطرة : فمن الممكن أن نقارن بين الأشخاص فى هذه الصفة الانفعالية حيث نجد درجات متفاوتة بين حب التسلط والرئاسة والشعور بالزهو فى طرف ، و بين الاستسلام والخضوع والانقياد والشعور بالاستكانة فى الطرف الآخر .

حب المقاتلة : ويرتبط هذا الدافع بانفعال الغضب ، حيث نجد بعض الناس تغلب فيهم النزعة العدوانية ، فيكونون ميالين لإيذاء الغير محبين للمشاكسة والعراك ، ويسهل استثارة الغضب فيهم ؛ بينما نجد نوعا آخر من الناس يغلب عليهم المسالمة والبعد عن المشاكل ولا يغضبون كثيراً . .

حب الاجتماع : فمع أن الإنسان اجتماعى بطبعه إلا أن الناس يختلفون فى قوة هذا الدافع لديهم ؛ فبعضهم يفضل أن يقضى معظم وقته مع الناس فيحضر الاجتماعات ويختلط ويتعاون ويشترك ، بينما البعض الآخر يفضل الاستقلال الذاتى والبعد عن الناس بقدر الإمكان ، فيكون ميالا للوحدة والعزلة .

الشهوة الجنسية : وترتبط بالغريزة الجنسية ، وهناك درجات متفاوتة فى هذا الدافع حيث نجد ذوى الشهوة الجامحة التى تضطرهم أحيانا للإشباع الجنسى بطرق غير مشروعة ؛ ويقابلهم من يتصفون بالبرود الجنسى والضعف فى هذا الدافع . ويرتبط هذا الانفعال بحالات التخنث ودرجة الذكورة أو الأنوثة فى الشخص ، وما ينشأ عنها من صفات مزاجية أخرى .

حب التملك : وهو أساس ما نجده من اختلافات بين الأشخاص فى حبهم للجمع والاقتناء ، وقد يكون ظاهراً بشكل شاذ بحيث يدعو صاحبه للسرقة والحصول على ممتلكات الغير ، أو إلى جمع المال والمغالاة فى ادخاره لدرجة البخل ؛ وقد يقل عند بعض الناس بشكل يجعلهم لا يسعون للادخار ولا يهتمون بحيازة ملكيات خاصة ، بل يبالغون فى البذل والسخاء والعطاء والتنازل عما يمتلكون .

انفعال الحنو : ويرتبط بغريزة الوالدية ، وهو أساس العطف والرعاية التى يشمل بها الآباء أولادهم فيعملون على إشعارهم بالأمن والاطمئنان والسعادة ، وعند ما يوجد هذا الانفعال واضحاً فى شخص نجده مندفعاً للعطف والحنو على الغير وميالا للرفق بالحيوان . . . وهكذا . أما إذا تميز الشخص بالضعف فى هذا الانفعال فإنه يكون قليل الشفقة قاسياً لا يعرف الرحمة أو العطف .

انفعال الخوف : وهو من أقوى الانفعالات وأهمها ، ويمكن أن نلمس مظاهره بوضوح فى الحيوان والإنسان وفى الأطفال والكبار . . وعند ما يوجد هذا الانفعال فى شخص بشكل واضح فإنه يتصف بالجبن وعدم الثقة بالنفس وينقصه الجرأة والإقدام ، وللخوف مظاهر شاذة كثيرة كالمخاوف المرضية التى

تظهر مصاحبة لبعض الأمراض النفسية . والشخص الذى يوجد لديه هذا الانفعال بشكل ضعيف يكون قليل الاكتراث ويقدم بدون تردد إلى ما قد يوقعه فى الأخطار بدون مبالاة .

وبمثل هذه الطريقة يمكن أن نستمر فى ذكر الفروق الفردية بين الأشخاص فى الانفعالات الأخرى مثل انفعال التقزز ، وانفعال الجوع ، والضحك ، والاستغاثة ، والحل والتركيب .

وهناك صفات مزاجية أخرى ذات أهمية كبيرة فى إحداث الاختلافات الفردية وفى تكوين الطابع العام للشخصية ، ولكنها أكثر تعقيداً بحيث تشمل أكثر من انفعال واحد أحيانا ومن أمثلتها ما يأتى : —

التعصب ، والشعور بالخطيئة أو الذنب ، والغيرة ، والنزعة العدوانية ، والإعجاب ، والعرفان بالجميل ، والتقديس .

هذا ويصح أن نلاحظ أن من الواجب أن نحدد العلاقة بين الانفعالات وبين الدوافع النفسية وبين الغرائز وبين الحاجات النفسية . فكل هذه تعتبر أسس الصفات المزاجية الخاصة [1] .

---

(١) انظر الكتاب الأول : أسس علم النفس للدكتور القوصى .. وكتاب الدوافع النفسية للدكتور مصطفى فهمى .

بحث بيرت فى التكوين المزاجى

يرى بيرت أن الانفعالات أساس المزاج ، وقد قام بدراسة علمية للنواحى المزاجية فى الشخصية بأن حصل على تقديرات دقيقة للصفات الانفعالية المختلفة فى عدد كبير من الأشخاص ؛ وحاول بطريقة حساب معاملات الارتباط والتحليل العاملى أن يبحث العلاقات التى تربط الانفعالات ببعضها ، لمعرفة مدى تمشى بعضها مع البعض الآخر ، وأثر ذلك فى تكوين الطابع المزاجى للشخصية ؛ وكانت النتيجة أنه وصل إلى تحقيق علمى إحصائى لما سبق قوله عن الطاقة المزاجية العامة والأنماط المزاجية الطائفية والصفات المزاجية الخاصة ، حيث وجد ما يأتى : —

أولا : أن هناك عاملا عاما مشتركا بين جميع الانفعالات يدل على الطاقة المزاجية العامة الكامنة وراء الانفعالات جميعاً ، وهذا هو ماعبر عنه بالانفعالية العامة (General Emotionality) . ومعنى ذلك أنه إذا وجدت انفعالات قوية فى شخص فإن من المتوقع أن يكون ذلك أمراً عاما فى باقى الانفعالات ، ولكن إذا وجدت انفعالات ضعيفة فى شخص ففى الغالب يكون هناك احتمال كبير لوجود هذا الضعف فى باقى الانفعالات .

ثانياً : بجانب هذا العامل العام أمكن بيرت أن يميز عوامل طائفية انفعالية ، أى أن بعض الانفعالات يصاحب بعضها البعض فى قوتها أو ضعفها . فمثلا فى الشخصية المنطوية نجد أن انفعالات الخضوع والحنان والحزن والخوف والتقزز ظاهرة مع بعضها بحيث تطغى على باقى الانفعالات ، بينما نجد فى الشخصية المنبسطة أن الانفعالات السائدة القوية هى انفعالات الفرح والميل الاجتماعى وحب السيطرة وحب الاستطلاع والمقاتلة . . . الخ .

ثالثاً : من الممكن بجانب النتيجتين السابقتين أن نميز حالات يكون فيها انفعال واحد ذو صبغة قوية واضحة ، كما فى الشخص الخواف ، أو الشخص المغرور أو المحب للسيطرة ، أو الشخص الذى لا يتوازن عنده انفعال معين مع باقى الانفعالات ، كما فى الشذوذ الجنسى الناتج من قوة انفعال الشهوة الجنسية وهكذا . .

ويمكن توضيح هـذه النتائج بدراسة العلاقات المبينة فى توزيع الانفعالات على محيط الدائرة فى التنظيم الآتى : —

التنظيم الانفعالى

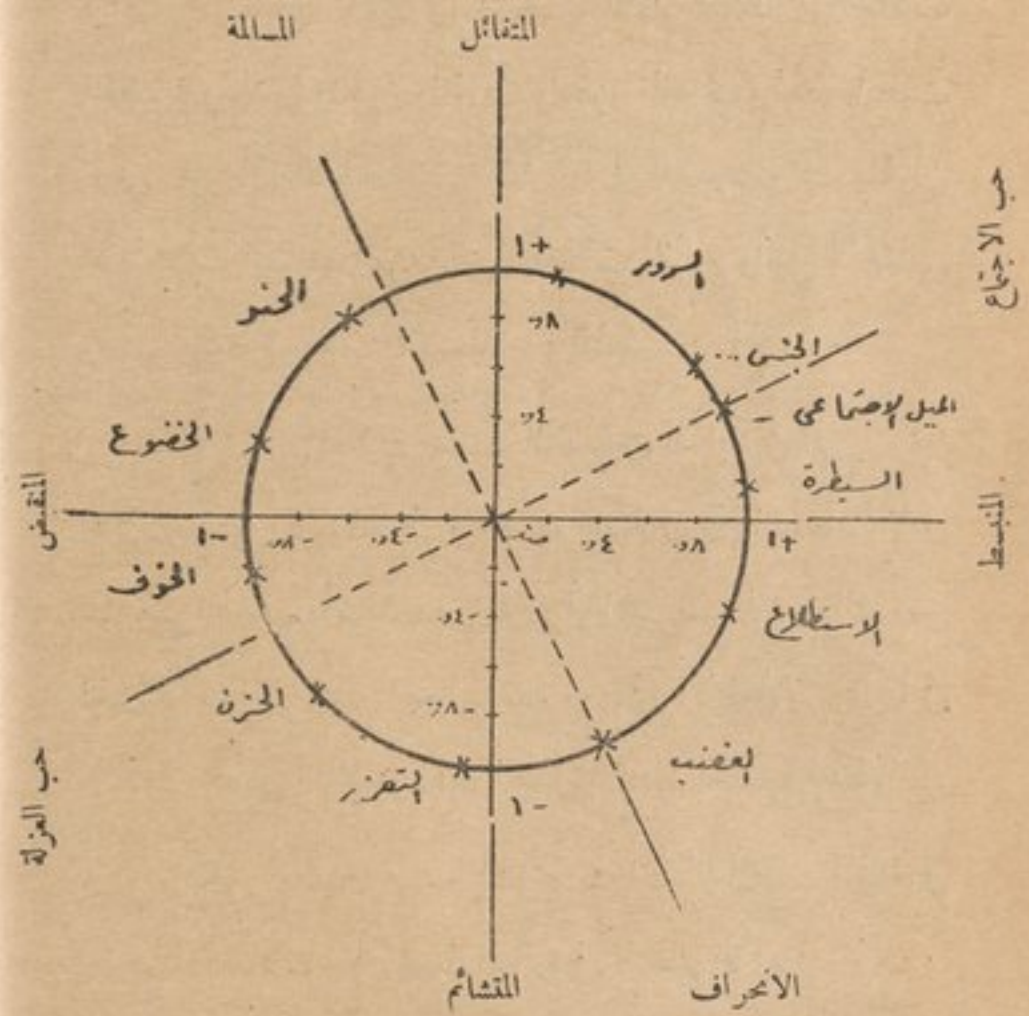

وهـذا التوزيع الدائرى يوضح مكان كل انفعال بالنسبة للانفعالات الأخرى على محيط الدائرة بناء على عمليات إحصائية خاصة عولجت بها نتائج البحث الذى قام به بيرت .

ويمكن القول بأن الانفعالية العامة تمثل فى هـذا التنظيم بمساحة الدائرة كلها . أما العوامل الطائفية فتمثل بقطاعات من الدائرة يضم كل قطاع منهـا عدداً من الانفعالات التى يغلب ظهورها مع بعضها فى كثير من الأحيان . وأما العوامل الخاصة فتمثل بأنصاف أقطار للدائرة تمر بالانفعال الغالب فى الشخصية .

ويفيدنا هذا التوزيع فى فهم سيكلوجية الأنماط المزاجية ، حيث يمكن أن نتخير أى محورين متعامدين من محاور الدائرة لنعتبره أساس التصنيف .

ومن الممكن رياضياً أن نجد حلولا كثيرة لذلك بإدارة المحاور (Rotation of Axes) السابق ذكرها بأى زاوية نريد ، ولـكن التصنيفات النظرية السابق شرحها يمكن أن تساعدنا على اختيار أنسب المحاور التى يصح الاعتماد عليها فنجد ما يأتى : —

أولا : إذا اعتبرنا أحد العوامل هو المحور الواصل بين الميل الاجتماعى فى طرف والخوف والحزن فى القطب المقابل ، فإن هذا يمثل لنا نوعين متضادين من الناس : أولهما من يستطيع التـكيف الاجتماعى والانسجام مع الغير بسهولة كثيرة ، وثانيهما من يشكون الحزن والقلق والانهباط وحب العزلة ، أى المعرضين للإصابة بالأمراض النفسية كالمخاوف والملانخوليا . ويكون العامل الثانى فى هذه الحالة ممثلا بالمحور المتعامد على المحور السابق ، أى القطر الذى

يصل بين الغضب فى طرف ، و بين صفة تجمع بين السرور والحنو فى القطب المقابل . وهذا يميز لنا نوعين معروفين من المشاهدات اليوميـة أيضاً وهما : الشخص الهادىء القانع المطيع للقوانين فى طرف ، والشخص المتمرد الثائر المنحرف الميال للخروج على النظام والقانون فى الطرف الآخر . .

ويمكن بسهولة أن نلمس الشبه الـكبير بين هذا التصنيف الرباعى و بين ما قلناه سابقا عن الأنواع الأربعة من الأمزجة وهى : المتأمل الهادىء أو السوداوى ومقابله صـاحب المزاج الدموى ، ثم صاحب المزاج الصفراوى ومقابله صاحب المزاج اللمفاوى .

ثانياً : أما إذا أخذنا بالمحاور الأساسية الأصلية وهما : المحور الواصل بين السرور فى طرف و بين صفة قريبـة من التقزز فى الطرف المقابل ، ثم المحور المتعامد عليه الواصل بين نقطة قريبة من السيطرة إلى نقطة مقابلة قريبة من الخوف والخضوع ، فإننا نصل إلى الأنواع المعروفة الآتيـة : — الشخص المرح المتفائل (Euphoric) ، والشخص المـكتئب المتشائم (Dysphoric) ، ثم الشخص المفكر المتأمل الباطنى ، والشخص الظاهرى .

ويلاحظ أن كل محور نتخذه أساساً للتقسيم يعتبر المركز المتوسط للانفعالات المحيطة به ، حيث يمثل كل قطب منه المركز

المتوسط للانفعالات القريبة منه ، وتكون صلة كل انفعال به متوقفة على مدى قربها أو بعدها من قطب ذلك المحور على محيط الدائرة .

هذا وتعتبر معاملات الارتباط بين كل صفة انفعالية وأخرى ممثلة بالزاوية التي بينهما ، أو بمعنى أصح بجيب تمام هذه الزاوية .

ومن الممكن أن نتصور توزيع هذه الصفات على سطح كرة ، حيث يمكن أن نستخلص من توزيعها عدداً من المخروطات الكروية التي تضم مجموعة (Cluster) من الانفعالات المتمشية مع بعضها البعض . على أن التحليل العاملي في الواقع يصل في تمثيل هذا التوزيع إلى الاستعانة بتخيل أشكال ذات أكثر من ثلاثة أبعاد ، مما يجعل الصورة أكثر تعقيداً وأقرب إلى طبيعة التكوين المزاجي .

الفصل التاسع

الصفات المزاجية المكتسبة

ليس من السهل أن نفصل بين العوامل الفطرية وعوامل البيئة فى تكوين الصفات المزاجية ، ولكن من الجائز أن نعتبر أن الانفعالات والاستعدادات المزاجية التى سبق الكلام عليها يغلب فيها العنصر الفطرى ، وأن العواطف (Sentiments) والاتجاهات العقلية (Attitudes) والعقد النفسية (Complexes) يغلب فيها العنصر المكتسب ؛ وهذا هو الذى دعا بعض العلماء لدراستها ضمن النواحى الخلقية فى الشخصية ؛ ولكن من المستحسن أن نعتبر العواطف والاتجاهات العقلية والعقد النفسية حلقة اتصال بين الصفات المزاجية والصفات الخلقية .

العواطف والاتجاهات العقلية

العواطف :

يتحدث الإنجليز من علماء النفس عن العواطف (Sentiments) باعتبارها تنظيمات معينة للاستعدادات الانفعالية حول أشياء

أو أشخاص أو موضوعات أو أفكار خاصة ، بحيث تجعل الشخص مهيأ لأن يسلك سلوكا خاصاً فى مواقف الحياة المختلفة بحسب ما يتكوّن فى نفسه من هذه العواطف .

وقد قام شاند (Shand) ومكدوجل (McDougall) بدراسة تكوين العواطف ونموها وأثرها فى تكوين الطابع العام للشخصية ، واعتبر مكدوجل أن تنظيم العواطف وتناسقها وانسجامها هو أساس تكامل الشخصية ، وأن عاطفة اعتبار الذات (Self Regard) هى أهم العواطف التى يعتمد عليها فى هذا التنسيق وهذا الانسجام . فالشخص الذى تكون عنده عاطفة اعتبار الذات قوية يظهر فى خلقه التناسق واتجاه باقى العواطف نحو أهداف وأغراض متفقة ؛ أما من تكون لديه هذه العاطفة ضعيفة — بحيث لا تقوى على عمل التنظيم اللازم فى باقى العواطف — فإنه يكون مفكك الشخصية بسبب عدم تناسق عواطفه واختلاف أهدافها .

وإذا سلمنا بأن الشخصية تعتمد فى تكوينها على مجموعة العواطف التى تنمو فيها وأن تكامل الشخصية يتوقف على تكامل وانسجام هذه العواطف ، فمن الممكن أن نتخذ من أنواع العواطف العالبة فى الأفراد أساساً لتقسيمهم إلى أنواع من الشخصيات ، حيث نجد أشخاصاً تسود عندهم عاطفة : الميل إلى

الدين ، أو حب الذات ، أو حب المال ، أو حب الأولاد ، أو حب العلم ، أو الميل إلى المثل العليا . . . وهكذا .

ويتأثر كل واحد من هؤلاء فى أسلوب حياته بما يكون عنده من عواطف قوية ، حيث تعمل هذه العواطف على إحداث نوع من تهيئة الذهن للقيام بسلوك أكثر تحديداً ؛ ولذا نجد أن معرفة عواطف الشخص تساعد فى كثير من الأحيان على التنبؤ بما سيكون عليه اتجاهه العقلى إزاء بعض الأمور أو تصرفه فى بعض المواقف .

ويصح أن نشير هنا إلى أهمية العواطف فى تنسيق حياة الشخص الوجدانية وتوجيهها ، ولذا تعتبر العواطف من العوامل المساعدة على الصحة النفسية ، فهى تكسب الحياة الانفعالية المتقلبة قدراً من الانسجام ، وبتكوين العواطف وتنظيمها تتحدد أهداف الشخص فى الحياة ، ويتحدد تبعاً لذلك نشاطه الانفعالى والوجدانى فيكون ذلك أدعى إلى استقرار حياته المزاجية .

على أن هذا لا يمنع اختلاف الأشخاص كما قلنا فى عواطفهم من حيث مدى انسجامها ، حيث يمكن أن نجد شخصاً تغلب فيه عواطف الكراهية ، وآخر تسود عنده عواطف المحبة ، كما أن بعض العواطف قد تتعارض أو تتصادم وقد تتعاون ، وعلى قدر ما يكون بينها من تعاون أو تصادم تتوقف قوة الشخصية .

الاتجاهات العقلية :

يتحدث الأمريكيون من علماء النفس عن الاتجاهات (Attitudes) العقلية فى نفس المعنى تقريباً الذى يتحدث به الإنجليز عن العواطف ، ويميزون بين الاتجاهات العقلية و بين الصفات (Traits) بأن الأولى لها موضوع ترتبط به سواء كان مادياً أو معنوياً ، فنقول أن شخصاً لديه اتجاه عقلى نحو شىء أو نحو فكرة ، بينما تعتبر الصفات مطلقة وغير مقيدة ؛ ولذا نجد للاتجاهات العقلية ميزة التخصص بينما الصفات تتميز بكونها أكثر تعميما ، كما أن الاتجاه العقلى يتضمن نوعا من الحكم أو إبداء الرأى بالقبول أو الرفض أو بالموافقة أو المعارضة ، ومن أمثلة ذلك الاتجاه العقلى نحو السفور أو الحجاب ، أو نحو التدين ، أو نحو تحديد النسل ، أو نحو التجديد أو المحافظة على القديم . . وهكذا

وتعتبر مجموعة الاتجاهات العقلية فى الفرد أساس نوع شخصيته كما سبق القول فى العواطف تماما ، ولذا يقول برجز (Briggs) أن من الممكن الحكم على نوع الشخصية بالوقوف على الاتجاهات العقلية التى تظهر فيما يفضله الشخص و يقبله ، أو ما يتعصب ضده و يرفضه .

وهنا يبدو جلياً مرة أخرى صعوبة الفصل بين الاتجاهات العقلية

(Attitudes) والميول (Interests) والصفات الخلقية (Traits Character) التى سيأتى ذكرها بعد . إذ أن الموضوعات التى تتمركز حولها الاتجاهات العقلية تتصل كثيراً بالنواحى الثقافية والخلقية ، كما أن عملية نمو العواطف أو تكوين الاتجاهات العقلية لا تتم إلا عن طريق تفاعل الفرد بالبيئة وعواملها الثقافية والخلقية والاجتماعية ، وهذا يؤكد لنا فكرة تداخل مكونات الشخصية .

ونظراً لارتباط موضوع الاتجاهات العقلية (Attitudes) بالنواحى العملية والاجتماعية فقد وجهت إلى دراسته أنظار العلماء هذه الأيام ، فبدأوا محاولاتهم فى تحليل الاتجاهات العقلية للكبار وللصغار نحو الأمور المختلفة ، كدراسة الاتجاه العقلى نحو السلم والحرب ، ودراسة الاتجاه العقلى للأولاد والبنات نحو السينما أو نحو الإذاعة والصحافة ، ودراسة الاتجاه العقلى نحو المعيشة فى الريف والمدن . . . وهكذا

وأدت نتائج هذه البحوث إلى تعيين الاتجاهات العقلية التى يصح العمل على تكوينها فى تربية شخصية الناشئين ، وتلك التى يصح العمل على تقليل حدتها . . وهكذا .

ومن الاتجاهات العقلية المرغوب فيها تنمية الاتجاه إلى مواجهة الحقيقة كما هى ، والثقة بالمقدرة على مواجهة مشاكل

الحياة ، وتكوين الاتجاه العقلى إلى الثقة بالغير وعدم التشكك فى الناس ، والاعتراف بحقوق الغير ، والمرونة فى الأخذ والعطاء والتعامل مع الآخرين ، وتدريب النفس على عدم التحيز أو التعصب . . وهكذا .

ومن الاتجاهات العقلية الغير مرغوب فيها : الاتجاه نحو التأمل والاستغراق فى الأحلام والانسحاب من عالم الحقيقة والواقع ، والاتجاه للكراهية والقسوة ، واتهام الغير والتشكك فى الناس لأتفه الأسباب ، والكف عن المكافحة فى الحياة ، والشعور بالعجز والنقص بدون سبب . . . وهكذا .

وقد استخدمت طريقة التحليل العاملى فى دراسة الاتجاهات العقلية وأسفرت عن نتائج جديرة بالتسجيل ، ومن أمثلة ذلك أحد الأبحاث التى قام بها ثرستون (Thurstone) حيث وجد من أهم العوامل فى هذا المحيط عامل المجددين ضد المحافظين (Radicalism — Conservatism) ، كما وجد أن المجددين من الناس يغلب فى اتجاهاتهم العقلية عدم التمسك بالمبادىء الدينية ، ويميلون للموافقة على تحديد النسل ، ويفضلون النظم التى تؤدى إلى حرية الطلاق ، ويميلون إلى التجديد فى النظم السياسية . وهكذا . بينما يكون المحافظون على عكس ذلك .

كما دلت الأبحاث على أن الأشخاص الذين يظهرون اتجاهات عقلية واضحة فى أى الطرفين نحو موضوع ما يكونون فى الغالب متصفين بقوة الانفعالية العامة ، والمبالغة فى تقدير مواهب أنفسهم ، والسرعة فى الحركة والحكم ، والثقة بالنفس أكثر من اللازم .

بينما الأشخاص الذين تكون اتجاهاتهم العقلية نحو الأخذ بأواسط الأمور يكونون على عكس ذلك .

ومن أهم النتائج أيضاً أن الأشخاص المتقلبين فى أحكامهم واتجاهاتهم العقلية يكونون أقرب إلى الاتصاف بكونهم عصبيين ، وغير ناضجين ، مما يدل على أن عدم الثبات والتقلب صفة انفعالية هامة تؤثر فى تكوين الاتجاهات العقلية .

كما دلت الأبحاث أيضاً على أن تغيير الاتجاهات العقلية يتم بسهولة عن طريق اقتناع الجماعة التى يحب الشخص أن يجاريها عن طريق الاستهواء والمشاركة الوجدانية والمحاكاة ، أكثر مما يتم عن طريق طلب التغيير بالعقاب أو الإجبار أو إظهار الموافقة أو عدمها .

الصراع النفسى وتفسيراته

تتميز الدوافع والقوى الانفعالية وما يتبعها من عواطف واتجاهات عقلية بصفة الديناميكية ، وبكونها فى تفاعل مستمر مع بعضها ومع باقى مكونات الشخصية ؛ وقد تختلف هذه القوى والدوافع فى أهدافها واتجاهاتها أثناء ذلك التفاعل ، وقد تتعارض أو تتصادم مع مؤثرات البيئة الخارجية من تقاليد وأوضاع اجتماعية ؛ ويعتبر كل هـذا أمراً طبيعياً وعادياً ، بل إنه ضرورى ما دامت هناك حيوية وما دام هناك نشاط . ولـكن قد تزداد درجـة هذا التعارض والتصادم حتى تصل إلى شـكل صراع (Conflict) عنيف يستنفد جزءاً كبيراً من طاقة الشخص الحيوية ، فيؤدى إلى تعطيل الإنتاج فى الفـكر والعمل ، ويسبب الاضطرابات المزاجية التى قد تؤدى إلى الانهيار العقلى والمرض النفسى .

ونظراً لأهمية ظاهرة الصراع النفسى ونتائجها فقد اهتم العلماء بدراستها وتحليلها ، ومن الأساليب التى اتبعت فى ذلك المنهج التجريبى (Experimental) على الحيوان والإنسان ، حيث يوضع الفرد فى ظروف مصطنعة بحيث يتعرض لأنواع مختلفة من أساليب الاستثارة والمواقف التى تحدث الصراع . وقد دلت هذه

البحوث التجريبية على وجود تشابه كبير فى نوع السلوك الذى يحدث للحيوان والإنسان تحت الظروف المتشابهة ، كما دلت هذه التجارب على أن هناك علاقة كبيرة بين أنواع الصراع المختلفة و بين أنواع الشذوذ والاضطراب فى السلوك ، وقد وضعت نتيجة لذلك نظريات كثيرة لتفسير الصراع ونتائجه يمكن تلخيصها فيما يأتى : —

النظرية الفسيولوجية :

يرى بافلف (Pavlov) أن الصراع يحدث نتيجة التصادم بين العمليات الفسيولوجية المتصلة بالاستثارة (Excitatory) ، و بين العمليات المتصلة بإيقاف أو قمع هذه الاستثارة (Inhibitory) ، وما يحدث بين هاتين العمليتين من تداخل و تعارض فى الزمان والمكان ، إذ أنه يعتقد بوجود مراكز خاصة لهاتين العمليتين بالقشرة المخية . ولكن من الصعب أن نعترف بهذا التحديد الوظيفى وقصره على قشرة المخ وحدها ، كما أن من الأفضل أن نحاول تفسير الصراع على أساس ما يبدو لنا من السلوك الظاهر بدل تفسيره على أسس فسيولوجية يصعب التحقق من صحتها .

النظرية البيولوجية النفسية :

أما الدكتور ماسرمان (Masserman) فيبنى نظريته على أساس أهمية الدوافع وارتباطها بالنواحى البيولوجيـة . وقد وضع لنظريته الأسس الأربعة الآتية : —

١ — أن السلوك فى أساسه ينتج من دوافع بيولوجية تتوقف على المقتضيات الفسيولوجية .

٢ — أن من الممكن تعديل هذا السلوك على أساس ما يفهمه الشخص وما يتأثر به فعلا من القوى المحيطة به فى البيئة .

٣ — أنه ليس من الضرورى أن يكون السلوك موجهاً بطريقة مباشرة لإشباع الرغبات البيولوجية الأولية ، بل إنه من الممكن — وخصوصاً تحت تأثير ظروف الحرمان — أن يكون السلوك غير مباشر ، كأن يكون بطريقة رمزية (Symbolic) ، أو استبدالية ، لإشباع تلك الرغبات البيولوجية .

٤ — عند ما تـكون الدوافع البيولوجية والقوى المؤثرة فى البيئة على درجة كبيرة من الاختلاف بحيث يحدث بينها الصراع فإن السلوك يتأثر تبعاً لذلك ، إذ يشو به التردد فلا يكون قاطعاً أو حاسماً ، وتتعقد مظاهره الرمزية ، ويؤدى إلى حدوث الأعراض الذهانية (Psychotic) والعصابية (Neurotic) .

النظرية السلوكية :

يبنى ملر (Miller) نظريته على فكرة المنافسة بين الاستجابات المختلفة إزاء مؤثر واحد ، أو المنافسة بين مؤثرين مختلفين . ومن أمثلة ذلك (١) حدوث النزاع بين الرغبة فى الاقدام نحو تحقيق غرض معين ، وبين الرغبة فى الابتعاد عنه — ويسمى هذا النوع: الاقدام — الاحجام (Approach — Avoidance) ، (٢) ويصح أن يحدث الصراع بين الإحجام لسبب نفسى والإحجام لسبب اجتماعي ، كرغبة الجندى فى الإحجام عن نزول المعركة خوفا على حياته ، ورغبته فى الإحجام عن التقهقر حتى لا يتهم بالجبن وعدم الوطنية ، وتكون النتيجة حدوث الصراع الذى يؤدى لحالة انهيار عصبي يخلصه من هاتين المشكلتين معاً . ويسمى هذا النوع من الصراع : الإحجام — الإحجام (Avoidance — Avoidance) . (٣) أما النوع الثالث فهو الصراع الذى يحدث بين رغبتين يوضع الشخص فى موقف الإختيار لإحداهما ، كحالة وجود نوعين من المغريات وتردد الشخص فى الفصل فى الإختيار . ويسمى هذا النوع من الصراع : الإقدام — الإقدام (Approach — Approach)

نظرية المجال :

يبنى لفين (Lewin) نظريته على فكرة المجال (Field) والقوى المؤثرة على الشخص فى مجال سلوكه ، سواء كانت هذه القوى ناشئة من الدوافع الداخلية أو من مؤثرات البيئة الخارجية، وعلى التغيير فى الكم والكيف لهذه القوى المختلفة ، وفى نظره أن الصراع يحدث عند تعارض مجموعة من قوى المجال المتساوية فى تأثيرها. ولا تختلف هذه النظرية كثيرا عن نظرية ملر (Miller) فى حالاتها الثلاث السابق توضيحها ، غير أن لفين (Lewin) يبنى آراءه على اصطلاحات كلها رياضية، فبدل أن يتحدث عن الإقدام والإحجام يتحدث عن القوى الموجبة والقوى السالبة . كحالة التعارض بين قوى الدوافع الداخلية التى يعتبرها موجبة (Positive Valence) وبين موانع البيئة التى يعتبرها قوى سالبة (Negative Valence) ، وما يتسبب عن هذا التعارض من الحرمان (Frustration) فى بعض الأحوال .

ويمكن تلخيص الإختلاف بين النظريتين فى أن ملر يبنى نظريته على فكرة المؤثر والاستجابة أو الرد عليه (Stimulus Response) ، فى حين أن نظرية لفين مبنية على نظرية الجشتالت (Gestalt) .

نتائج الصراع :

تدل الدراسات التجريبية التى قام بها علمـاء النفس الفسيولوجى على الحيوان والإنسان على السواء على مايأتى : —

١ — يتوقف حدوث الانهيار العصبى فى مواقف الصراع المختلفة ، والطريقة التى تظهر بها أعراض هذا الانهيار على التكوين المزاجى (Temperamental Constitution)

٢ — نتيجة لذلك يختلف الأفراد فى استجاباتهم لنفس مواقف الصراع فى تجربة واحدة ، بحيث نجد أن هذه الاستجابات تظهر أحيانا فى شكل تقهقر (Retreat) أو نكوص (Regression) لنوع من السلوك الذى يعتبر مناسبا لمرحلة من مراحل النمو أقل من المرحلة التى يمر بها الفرد حاليا ، وقد تحدث استجابة فرد آخر لنفس الموقف بالجمود فى وضع حركى معين ، أو القيام بحركات نمطية متكررة . . . أو أن تظهر عليه لزمات حركية خاصة (Tics) . . وهكذا .

٣ — من نتائج الصراع تتأثر الحالة المزاجية فى الفرد موضع التجربة ، بحيث تتغير حالة الاستقرار والثبات الانفعالى ، فتبدو على الفرد مظاهر الانهباط والهدوء الانفعالى ، وبطء التأثر بالمؤثرات التى يتعرض لها ، والانكماش والعزلة ؛ أو تزداد الحساسية الانفعالية

وتبدو على الفرد مظاهر القلق والهوس ، حيث يلجأ إلى الخبط والعض والتدمير والاعتداء على الغير ، وما يتبع ذلك من تغيرات فسيولوجية مصاحبة كازدياد سرعة التنفس وعدم انتظام ضربات القلب . . وهكذا . .

٤ — فى حالة الصراع الداخلى الذى يحدث بين القوى والدوافع النفسية الداخلية تنتج الأعراض التى يتميز بها العصاب أو الأمراض النفسية (Neuroses) . أما إذا حدث الصراع بين القوى الداخلية والمؤثرات الخارجية لدرجة يحدث فيها فقدان الوعى والرشد ، فإن الأعراض التى تحدث تنطبق على الذهان أى الأمراض العقلية (Psychoses) .

الجهاز النفسى واللاشعور

بجانب المنهج التجريبى السابق ذكره نجد منهجاً تحليلياً (Analytical) آخر يقوم لا على إحداث الصراع بالتجارب ومحاولة دراسة النتائج ، بل على أساس تفسير الحالات التى حدث لها الصراع فعلا من بنى الإنسان المصابين بأمراض نفسية وعقلية .

وقد توصل علماء هذا المذهب التحليلى إلى افتراض وجود العقل الباطن أو اللاشعور (Unconscious) الذى يعتبر بمثابة

مستودع كبير لخبرات الشخص الماضية ، وما يكون لديه من طاقة حيوية ، وافترضوا تكويناً للجهاز النفسى يسهل تفسير حدوث الصراع و نتائجه المختلفة . وقد أدت هذه الافتراضات خدمة عظمى فى فهم الحياة النفسية للعاديين والمرضى على السواء .

فقد فتح فرويد (Freud) أبواب البحث فى أعماق النفس بافتراضه لأجزاء الجهاز النفسى الممكن توضيحها فى الشكل الآتى :—

طبوغرافية الجهاز النفسى

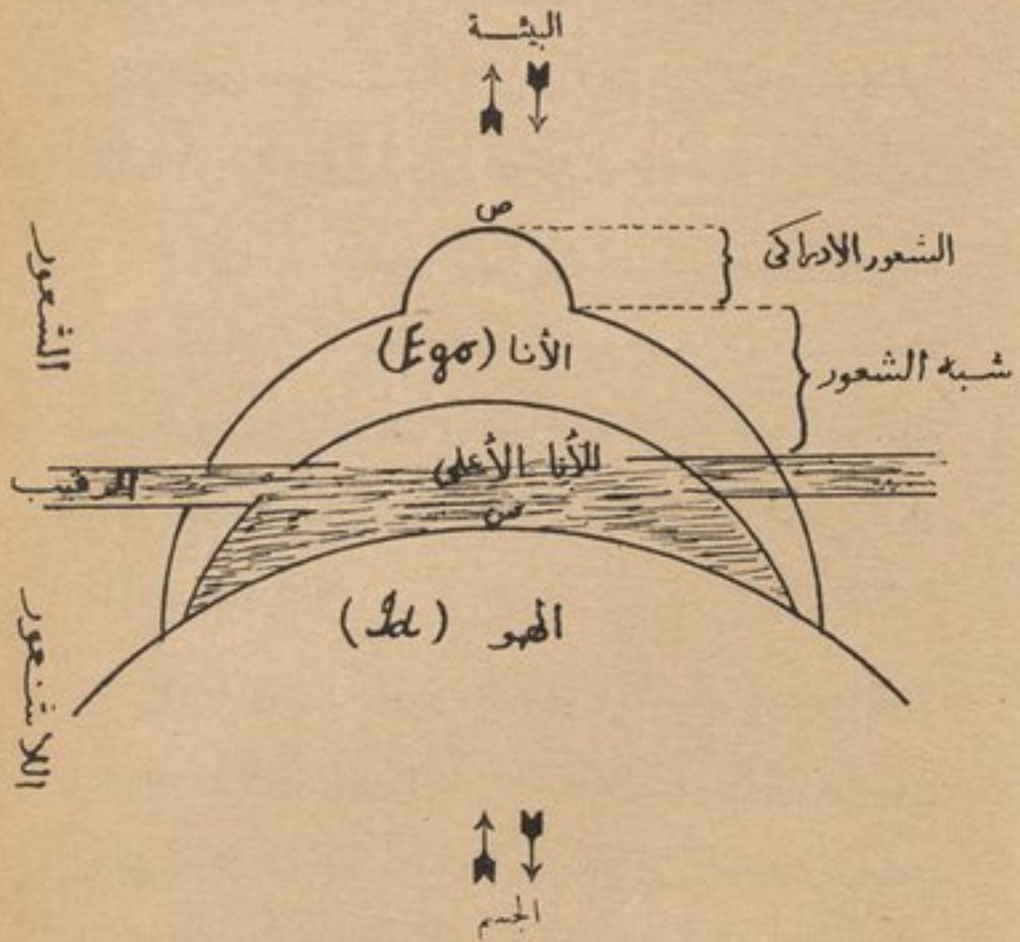

شكل يوضح مكان النفس ومكوناتها بين البيئة والنواحى الجسمية
عن كتاب : برج (Berg) صفحة ٤٣٧

ومن هذا الشكل يتضح ما يأتى : —

١ — أن الجزء من النفس الذى يتعامل مع البيئة هو الشعور أو العقل الظاهر ، وأن هذا الجزء يمكن اعتباره مكونا من مراتب متدرجة ، حيث يمكن أن نميز فيه : بؤرة الشعور ، والشعور الإدراكى ، ثم ما قبل الشعور أو شبه الشعور .

٢ — أن اللاشعور أقرب إلى النواحى الجسمية والدوافع البيولوجية ، وأنه أكثر اتساعا وعمقا من الشعور ، ويقدر بعض العلماء أن نسبة المحتويات فى العقل الظاهر إلى محتويات العقل الباطن كنسبة التسع تقريباً ، مما يدل على أهمية العقل الباطن كأحد مكونات الشخصية .

٣ — أن بين الشعور واللاشعور يمكن أن نتصور الرقيب (Sensor) الذى يعمل بمثابة المنظم لتفاعل محتوياتهما ، فيسمح لبعض القوى بالظهور من العقل الباطن إلى الشعور ولا يسمح للبعض الآخر ، وهو الذى يكون فى غفلة فى حالة النوم ولذا تتدفق محتويات اللاشعور فتظهر فى الأحلام بصورها الرمزية المعروفة .

٤ — يمكن أن نسمى الجزء الذى يغلب فيه الجانب الشعورى من الشخصية بالأنا (Ego) ، وهو ذلك الجزء من النفس الذى يواجه العالم الخارجى ويتأثر به ، وهو الذى يُشعر الشخص

بذاتيته . ويصح أن يسمى بالنفس الذاتيـة .

٥ — أما ذلك الجزء من اللاشعور الذى يعبر عنه بالهو (Id) فيمثل النفس البدائية التى تتكون من الطاقة الغريزية وتحوى الرغبات والنزعات اللاشعورية التى تريد التعبير عن نفسها . ويضم أيضاً تلك التنظيمات ذات الصبغة الانفعالية التى تكون قد مرت بالشخص ولـكنها تعارضت مع بعض المؤثرات والقوى النفسية فحدث لها الـكبت أو الفصل والقذف إلى أعماق النفس ، حيث تبقى هناك فعالة نشطة ، وإن كانت بعيدة عن الوعى والشعور وفى زوايا النسيان . وهذه هى ما يعبر عنها بالعقد النفسية (Complexes) .

٦ — وبين الأنا والهو ومن نتيجة تفاعلهما معا يتكون جزء آخر من النفس يسمى الأنا الأعلى (Super-Ego) ، وهو الذى ينشأ مع الشخصية ويتطور تكوينه بنموها وتطورها ، فتتمثل فيه سلطة المعايير الخلقية والمثل العليا ، ويكون للنفس الذاتية بمثابة الذات العليا المسيطرة ، ويمكن أن يطلق عليه اسم النفس اللوامة . وواضح من الرسم أن جزءا منه لاشعورى وجزءا آخر شعورى ، لأن تكوينه كما قلنا يتأثر بالنزعات اللاشعورية والمعايير الخارجية أيضاً ، وواضح من الرسم أيضاً أنه يؤدى وظيفة الرقيب .

التفسير التحليلى للصراع النفسى ونتائجه :

ويفسر علماء النفس التحليلى ما يحـدث للشخص من اضطرابات مزاجية وأمراض نفسية على أساس الصراع الذى يحدث بين أجزاء هذا الجهاز النفسى .

فإذا حدث الصراع بين النفس البدائية (Id) و بين النفس الذاتية (Ego) أو النفس اللوامة (Super Ego) فإن هذا النوع من الصراع يعتبر صراعا داخلياً (Endo psychic) حيث يمكن أن نتصور مكان حدوثه عند (س) على الرسم .

وفى هذه الحالة تكون العلاقة بين الأنا (Ego) و بين البيئة لا زالت مستمرة ، ولذا يكون وعى الشخص لرشـده لا زال موجوداً ، ويكون تعامله مع المجتمع لا زال ممـكناً . ولهذا فإن الاضطراب النفسى فى هذه الحالات يكون جزئياً بحيث لا تتأثر به الشخصية كلها ، وهذا هو مايحدث فى حالات الأمراض النفسية (Neuroses)

أما إذا حـدث الصراع بين النفس البدائية أو (الهو) أو الذات أو الذات العليا أى النفس اللوامة ، و بين قوى البيئة ومؤثرات المجتمع ، فإن نتائج هذا الصراع يمكن تصور حدوثها عند (ص) على الرسم . وفى هـذه الحالة يكون الأنا (Ego) قد أثقل بقوى الهو (Pl) لدرجة تجعله يكاد يفقد صلته بالواقع . ولذا

تحدث اضطرابات الشخصية التى يفقد فيها الشخص رشده وصوابه، ولا يكون شاعراً بما فيه من تغيير واضطراب ، ولا يكون عنده استبصار لما صارت إليه حاله . وهذا هو ما يحدث فى حالات الذهان (Psychosis) .

وقد ذهب علماء النفس فى تفسير الصراع النفسى ونتائجه مذاهب مختلفة ، فمثلا نجد أن فرويد (Freud) يرى أن أساس الاضطرابات والأمراض النفسيه هو الصراع بين النفس البدائية وما بها من دوافع يغلب عليها الناحية الجنسية وما يحدث لها من كبت وحرمان وما يقف أمامها من قيود ، فالأمراض النفسية قد تكون مظهراً للتعبير عن الحرمان من الإشباع الجنسى مثلا ، وتختلف أنواع هذه الأمراض بحسب مراحل النمو الجنسية وما حدث للشخص أثناءها من صعوبات واضطرابات ، ويضيف فرويد إلى ذلك أيضاً أهمية الشعور بالذنب ، وأهمية النزعات العدوانية فى تكوين هذه الاضطرابات والأمراض . فهو إذن يعمل أهمية كبرى للحياة الماضية .

أما أدلر (Adler) فيبنى تفسيره على أساس النزعة إلى السيطرة وما يعتريها من صعوبات ، وعلى أساس الشعور بالنقص والميل إلى التعويض عنه أحيانا ، وعلى المبالغة فى تقدير الذات وتخيل أهداف

أبعد من قدرة الشخص ، فيكون فشله فى تحقيق هذه الأهداف عاملا من عوامل الانهيار النفسى . . فهو إذن يعمل أهمية كبرى للنظر إلى الأهداف المستقبلة .

أما يونج (Jung) فيؤكد أهمية المسئوليات التى يواجهها الشخص ، خصوصاً عند عجز طاقته العقلية عن الاضطلاع بأعباء الحياة ، واضطراره إلى الانسحاب من الواقع والرجوع أو النكوص إلى نوع من وسائل السلوك البدائية التى ترتبط بإحدى مراحل النمو الماضية . فهو إذن يعمل أهمية كبرى لمشاكل الحياة الحاضرة .

تصنيف الأمراض النفسية والعقلية

يمكن تمييز ثلاثة طوائف من الاختلال فى الشخصية وهى :—

أولاً : الأمراض النفسية أو العصابية (Neuroses) .

ثانياً : الذهان أو الأمراض العقلية (Psychoses) .

ثالثاً : أنواع أخرى من الانحرافات التى يصعب وضعها فى أحد القسمين السابقين

وليس من السهل أن نفصل بين الأمراض النفسية والعقلية لاشتراك الكثير من الأعراض بينهما ، مما جعل بعض العلماء يعتبر

أن الفرق بينهما فى الدرجة فقط لا فى النوع ، ولـكن على وجه العموم يمكن القول بأن الأمراض النفسية تختلف عن الأمراض العقلية أو الذهانية فيما يأتى: —

١ — المصاب بالمرض النفسى يكون واعياً لمرضه وعنده استبصار لما فيه من تغيرات . ولذا يسعى بنفسه أحيانا إلى العلاج ، بينما المصاب بالذهان لا يكون عنده وعى أو تقدير للتغير الذى حدث عنده ، وفى الغالب يتولى المحيطون به مهمة إحالته إلى المستشفى أو الطبيب للعلاج .

٢ — المصاب بالمرض النفسى يكون قادراً على الاتصال والتعامل فى البيئة إلى حد ما ، لأن المرض النفسى يعتبر جزئياً ولا يؤثر فى كل الشخصية بنفس الدرجة التى يؤثر بها الذهان الذى يشمل كل الشخصية فيحدث فيها تغييراً كلياً .

٣ — المرض النفسى أسبابه سيكلوجية فى أساسها ، وعلاجه نفسى أيضاً ، وليس له أسباب جسمية ، أما الذهان ففى الغالب يكون له أصـل عضوى أو اختلال وظيفى فى الجهاز العصبى أو الفسيولوجى .

٤ — فى الأمراض العقلية أو الذهان يكون للوراثة تأثير

كبير من الناحية التشخيصية . ولكن الأمراض النفسية مكتسبة فى أساسها ، وفى كلتا الحالتين تعمل أهمية أكثر لمؤثرات البيئة من الناحية العلاجية .

أولا : أنواع الأمراض النفسية :

يقسم بيرت (Burt) الأمراض النفسية إلى طائفتين : —

(ا) الأمراض النفسية الأكثر اتصالا بالنواحى الجسمية والتى يكون لظروف الحياة الحاضرة شأن كبير فى إحداثها ويطلق عليها النوع الانطوائى (Asthenic) وتشمل : —

١ — النيوراستينيا (Neurasthenia) .

٢ — السيكاستنيا (Psychasthenia) .

٣ — حالات القلق (Anxiety States) .

٤ — عصاب القلق (Anxiety Neurosis) .

٥ — الهستريا الحصرية (Anxiety Hysteria) .

٦ — الهيبوكوندريا (Hypochondria) .

٧ — الانحرافات الجنسية (Sex Perversions) .

(ب) الأمراض النفسية الصرفة التى لا يكون للعوامل الجسمية دخل فيها ، والتى ترجع أسبابها فى الأغلب إلى ظروف الحياة

الماضية وخاصة الطفولة ؛ ويطلق عليها النوع الانبساطى (Sthenic) ويشمل : —

٨ — عصاب الغضب (Anger neurosis) .

٩ — عصاب القهر (Compulsion neurosis) .

١٠ — الهستريا التحولية (Conversion Hysteria) .

١١ — المخاوف المرضية (Phobias) .

ثانياً : أنواع الأمراض العقلية أو الذهانية :

(ا) أمراض الذهان العضوى الممكن أن نلمس لها سبب فسيولوجى ويدخل تحتها : —

١ — ذهان المشروبات الكحولية (Alcholic) .

٢ — الشلل الجنونى العام (General Paralysis) .

٣ — ذهان الشيخوخة (Senile Psychosis) .

٤ — الكوريا (Chorea) .

٥ — الذهان المصحوب بإصابة فى المخ

Psychosis wrih Brain Tumor

٦ — ذهان التسمم بالتكسينات المختلفة

Psychosis due te Exogeneous Toxins

(ب) الذهان الذى لا يعرف له سبب عضوى ويدخل تحت هذا القسم : —

١ — الفصام أو السيكزوفرينيا (Schizophrenia) بأنواعها الأربعة الرئيسية :

(ا) البسيط (Simpler) .

(ب) الكتاتونى (Catatonic) .

(ح) الفصام الهذائى (Paranoic) .

(ء) فصام المراهقة (Hybephrenic) .

٢ — الذهان الهذائى أو البارانويا (Paranoia) .

٣ — ذهان الهوس والاكتئاب (Manic Depressive) أو الذهان الدورى (Circular Psychosis) وله دوران :

(ا) دور الهوس (Mania) .

(ب) دور الهبوط (Depression) .

٤ — الملانخوليا (Melancholia) .

٥ — المانيا (Mania) .

ثالثاً : الأنواع الأخرى من الاضطرابات فى الشخصية وتشمل :

١ — الصراع (Epilepsy) .

٢ — الشخصية السيكوباتية (Psychopathic Personality)

٣ — انحراف الأحداث (Delinquency) .

٤ — اضطرابات السلوك (Behaviour disorders.) .

مراجع :

1. G. W. Allport : Personality.
2. C. Berg : Clinicl Psychology
3. C. Burt : The Subnormal Mind.
4. C. Burt : The Factorial Study of Temperamental Traits. B. J. Stat. Psy Vol. 1.
5. R. B. Cattell : Description & Measurement of Personality.
6. H. J. Eysenck : Dimentions of Personality.
7. J. C. Flugel : Man, Morals and Society.
8. J. A. Hadfield : Psychology and Mental Health.
9. L. G. Lowrey : Psychiatry for Social Workers.
10. Isabel Macdonald: The Four Temperaments.
11. T. W. Richards : Modern Clinical Psychology
12. R. W. Russell : The Comparative Study of Conflict and Experimental Neurosis. B. J. P. XLI. 3.
13. L. Thorpe : Psychological Foundations of Personality.

مراجع عربية :

١ — علم النفس التربوى : للدكتور أحمد زكى صالح .
٢ — مقدمة فى التحليل النفسى : تأليف فرويد وترجمة الدكتور إسحق رمزى .
٣ — أسس الصحة النفسية : للدكتور عبد العزيز القوصى .
٤ — أسس علم النفس : للدكتور عبد العزيز القوصى .
٥ — مبادىء التحليل النفسى : الأستاذ محمد فؤاد جلال .
٦ — الدوافع النفسية : للدكتور مصطفى فهمى .

الفصل العاشر

النواحى الخلقية

يعتقد بعض العلماء أن الخلق هو الشخصية وأن لا داعى للتفريق بينهما ، ولعل هذا يرجع لارتباط الخلق بأساليب السلوك والتعامل مع البيئة . ذلك السلوك الذى يتأثر بمكونات الشخصية كلها . ولكن من المستحسن أن نفرق بين الاصطلاحين ، وأن نعتبر أن الخلق جانب واحد من الشخصية وأنه بذلك أكثر تحديداً وأقل اتساعاً . ويمكن أن نزيد فى تحديد معنى الخلق إذا علمنا أنه ينتسب إلى النواحى الإرادية والنزوعية (Conative) ، فى حين أن المزاج ينتسب إلى النواحى الوجدانية (Affective) ، وأن المعرفة تنتسب إلى النواحى الإدراكية (Cognitive) . أما الشخصية — كما سبق أن قلنا — فتشمل أكثر من هذه النواحى مجتمعة .

ويجب أن نقرر أن هناك صلة كبيرة بين النواحى الخلقية وبين النواحى المزاجية — خصوصاً المكتسبة — وأن من الصعب الفصل بينهما ، غير أن النواحى الخلقية أقرب إلى عوامل

البيئة والوسط الاجتماعى والظروف المحيطة بالفرد ، كما أنها أكثر ارتباطا بنواحى السلوك التطبيقية والعملية ؛ ولهذا يصح أن نعتبر أن الخلق هو المحصلة الناتجة من تفاعل القوى المزاجية والعقلية مع مؤثرات البيئة الاجتماعية ، وأن النواحى المزاجية هى المواد الخام التى تبنى عليها الصفات الخلقية .

ويمكن أن نوضح معنى الخلق بالإشارة إلى ارتباطه بالإرادة (Will) ، وبالمعايير الأخلاقية السائدة فى البيئة . فالإرادة هى التى تظهر فى قيادة التصرف وتنظيم السلوك ، وفى المفاضلة بين الحلول والفصل فى المواقف عند ما يحدث التعارض أو التردد ، ولذا تتأثر الصفات الخلقية بما لدى الشخص من إرادة ؛ ويعرف أحد العلماء الإرادة بأنها : « الشخصية وهى تعمل » . ومن هذا يتضح أن الخلق هو ذلك الجانب من الشخصية الوثيق الصلة بالإرادة والذى يعتبر مظهراً لانسجام القوى والدوافع الفطرية أو تعارضها ، والذى يمكن أن يقاس به مدى تكييف الفرد لسلوكه بحيث يتمشى مع مقتضيات البيئة .

وكثيراً ما تعتبر الصفات الخلقية فى الشخص أساس الحكم عليه من الناحية الأخلاقية . ولكن ينبغى أن نفرق هنا أيضاً بين الخلق (Character) وبين الأخلاق (Conduct) ، فالأول

اصطلاح يتصل بعلوم النفس والاجتماع ، وليس من الضرورى أن يتضمن الحكم الأخلاقى الذى ينصب على الاصطلاح الثانى المتصل بعلم الأخلاق . كما أن لفظ الأخلاق يعتبر أكثر تحديداً وأقل اتساعاً من لفظ الخلق .

ويمكن أن نفهم المقصود بالنواحى الخلقية بالإشارة إلى مظاهرها المختلفة كالعادات (Habits) والميول (Interests) والصفات الخلقية (Character Traits) .

العادات

كثيراً ما يطلق لفظ عادة (Habit) على أى نوع من أنواع السلوك المكتسب تمييزاً له عن السلوك الفطرى الغريزى (Insinctive) ، وقد أدى هذا التوسع فى معنى العادة إلى إطلاقها حتى على العواطف ذاتها باعتبارها عادات انفعالية . وبناء على هذا المعنى الواسع للعادة يعتبر بعض العلماء أن الشخصية هى مجرد مجموع عادات السلوك (Habits of Behaviour) ، إذ أن جميع الصفات العامة للشخصية من ميول أو اتجاهات عقلية يمكن تحليلها وإرجاعها إلى مجموعات من العادات المترابطة مع بعضها .

ولكن مكدوجل (McDougall) يرى حصر معنى العادة

فى نطاق أضيق من ذلك ، فيقصرها على التصرفات الحركية أو الجسمية المكتسبة التي تكون سلسلة مترابطة من التصرفات ، بحيث لو بدأت إحداها تحدث باقى السلسلة بطريقة أوتوماتيكية و بنفس الترتيب التتابعى السابق حدوثه عند تكوين العادة ، ويتم ذلك بسهولة و بدون وعى كبير أو تركيز للانتباه .

أما البرت (Allport) فيعرف العادة بأنها تنظيمات من الأفعال المنعكسة التى تشمل ردود أفعال شرطية (Conditioned) والتى يتم تكوينها بالتكرار والاقتران والترابط ، والتى تصل إلى نوع من الثبات بحيث يمكن حدوثها بنفس الطريقة عند كل استثارة .

وتعتمد العادات فى تكوينها على قوانين التعلم المختلفة ، وعلى الأساليب التربوية التى يتبعها الآباء والأمهات مع الطفل فى نشأته الأولى حيث يسهل تكوين العادات لمرونة الجهاز العصبى . ومن هنا ندرك الأهمية التى تعطى لسنى الطفل الأولى كأساس لتكوين صفاته الخلقية التى تشكل طابع شخصيته فى المستقبل . ولهذا يمكن القول بأن العادة هى استعداد يكتسب بالتعلم يجعل الشخص يقوم ببعض الأعمال بطريقة ميكانيكية و بمجهود بسيط ، و بدون حاجة لإعمال الفكر أو حصر الانتباه .

وقد أكد جيمس (James) و بين (Bain) أهمية العادات ، حيث قال جيمس إن العادة طبيعة ثانية ، وقال علماء آخرون إن أكثر من تسعين فى المائة من أعمالنا وتصرفاتنا يمكن ردها إلى العادات ، ولأجل هذا عنى هؤلاء العلماء بوضع قوانين تكوين العادات الصالحة والتخلص من العادات الضارة ، وأكدوا فائدة العادات فى تسهيل توجيه طاقة الشخص إلى التركيز فيما يحتاج إلى ابتكار أو تجديد .

ولكن بعض العلماء الآخرين يقللون من شأن العادات على أساس أن كثرتها تجعل الشخص مشابهاً للآلة الميكانيكية ، وتطبع حياته بطابع الجمود والركود مما يحول دون التقدم والتغيير والرقى ، وقد استند هؤلاء إلى خطر العادات الضارة وقوة سلطانها لدرجة أنهم قالوا : « إن خير عادة ألا يكون للمرء أى عادة » . وذلك لأن عدداً كبيراً من الأشخاص يخضعون لسلطان عاداتهم فيصبحون عبيداً لها ويصعب عليهم التخلص منها .

ولكن من الممكن أن تكون العادة خادما مطيعاً ، أو أن تكون عدواً مبيناً ، وهذا يتوقف على نوع العادات التى نعنى بتكوينها فى الشخصية أثناء مراحل نموها المختلفة ، وعلى مبلغ المرونة التى نصبغ بها العادة فى أثناء تكوينها ، بحيث تكون قابلة

للتغيير والتوجيه ، وكل هذا يعتمد على الأساليب التربوية التى تتبع فى تنشئة الشخصية .

ويمكن أن نقارن بين الأشخاص من حيث عاداتهم ومبلغ سلطانهم عليها ، حيث نجد ذلك النوع من الناس الذى تعود عادات جامدة محدودة ثابتة لا يستطيع التحول عنها قيد شعرة ، كالشخص الذى يضطرب سلوكه وتشل حركته إذا تبين له أنه وضع قلمه فى جيب آخر غير الذى تعود أن يضعه فيه مثلا ؛ وذلك النوع من الناس الذى استطاع أن يكوّن لنفسه عادات نافعة تسهل له أعماله وتساعده على تنظيمها ، بعكس غيره ممن يضطر إلى توجيه انتباهه لكل حركة أو عمل يأتيه لأنه لم يكون لنفسه مثل تلك العادات .

وغنى عن الذكر أن نبين أثر العادات الضارة كإدمان المخدرات أو لعب الميسر أو تعاطى المشروبات الروحية . . فى تكوين طابع الشخصية وصفاتها الخلقية .

الميـــول

من الأمور التى تدخل ضمن النواحي الخلقية فى الشخصية ما يوجد لدى المرء من ميول (Interests) ، ويقصد بالميل التعلق بأمر معين والإقبال على الانتباه إليه والاستمرار فى الاهتمام به فى شىء من الاحتمال والرغبة . ويمكن أن يتصل هذا الميل بما يحب

الشخص أو يكره ، أو بما يعجب به أو يستنكره ، أو بما من شأنه أن يوجد عنده نوعا من الانشغال بهذا الأمر .

ومن هذا يتضح أن الميول تشبه العواطف ، ولكن الميول تتصل بالنواحى النزوعية ، وبما يقوم به الشخص من تصرفات تدل على وجود الميل عنده . أما العاطفة فتغلب فيها الصبغة الوجدانية .

والميول تتكون بالتدريج وتنمو مع الزمن ، وتتأثر بالعوامل الخارجية التى قد تقويها أو تضعفها ، ويمكن أن نميز بين نوعين من الميول وهما : —

١ — الميول التى تبنى على أسس غريزية أو انفعالية أو عاطفية أو حاجات نفسية . وهذه تكون أكثر ثبوتاً ونموا ، كالميل المتصل بعاطفة جنسية ، أو الميل نحو الأمور الاجتماعية ، ذلك الميل المبنى على الحاجة إلى الشعور بالأمن والانتماء للجماعة ، أو الميل نحو الهوايات التى يغلب فيها عنصر اللعب .

٢ — الميول الثانوية أو المشتقة كتلك التى تتصل بالقيام بعمل أو مهنة ، حيث لا يظهر الميل للإقبال على مثل هذا النوع من النشاط إلا بسبب شعور الشخص بضرورة هذا العمل ، ولكن مثل هذه الميول البعيدة الصلة بالحاجات والدوافع النفسية تكون أقل ثبوتاً وأسهل تحولا وأكثر قابلية للتغير .

ويمكن أن نقول أن النوع الأول من الميول تكون فيه صفة التلقائية ، بينما النوع الثانى يكون مرتبطا بأهداف وأغراض خارجية يعمل الشخص على تحقيقها مضطراً .

وتتأثر الميول فى تكوينها بظروف البيئة وطبيعتها ، ولذا نجد أبناء البيئات المختلفة يختلفون فى أنواع الميول الغالبة فيهم ، فسكان البلاد الصناعية مثلا يميلون للاهتمام بالأشياء والأدوات الميكانيكية ، أما سكان البلاد الساحلية فيميلون للاهتمام بالصيد والتجارة ؛ كما أن ميول أهل الريف تختلف عن ميول سكان المدن ؛ وميول الأشخاص الذين نشأوا فى بيئات يغلب فيها الحرمان وفعل التقاليد والدين تختلف عن ميول من نشأوا فى بيئات تسودها الحرية والتحرر ... وهكذا .

وتختلف الميول السائدة عند الأشخاص بحسب الجنس حيث نجد بصفة عامة أن الأولاد والرجال أكثر ميلا نحو الأمور العملية الخارجية ، ونحو الأمور الثقافية ونواحى النشاط العنيف ، بينما تتجه ميول البنات والسيدات نحو الهوايات المنزلية وتربية الأطفال ، والتزين والتجمل وما يتصل بتحسين أحوالهن .

ويمكن أن نلمس الاختلاف فى الميول بحسب السن والتطور فى مراحل النمو المختلفة [1] حيث نجد أن ميول الأطفال فى

---

(١) راجع كتاب النمو النفسى : للأستاذ عبد المنعم المليجى .

المراحل الأولى تتجه نحو أنفسهم ، ونحو الطعام والحماية ونحو الوالدين والجو المنزلى ؛ ثم تتحول ميولهم عند ما يكبروا قليلا بحيث يغلب فيها نواحى النشاط وكسب المهارات والتعلم . أما فى دور المراهقة فنجد فترة يحدث فيها تغيير كبير فى الميول والاتجاهات العقلية ، حيث يحدث التحول نحو الأمور الدينية والاجتماعية والخلقية والجمالية . وفى دور الرجولة يتجه الميل والاهتمام نحو تكوين العائلة والعمل على الكسب والأنتاج . أما فى الكبر فتتجه الميول نحو الأعمال المتصفة بالهدوء والبعد عن المنافسة كارتياد المجتمعات المسلية ، وتنسيق الحدائق ، والمساعدة فى الخدمة الاجتماعية . . . وهكذا

ونظراً لأهمية الميول فى تحديد الصفات الخلقية وتمييز الشخصية فقد اهتم العلماء بدراستها وتصنيفها ، وقد وضع كاتل (Cattell) أنواع الميول الآتية التى يمكن الاسترشاد بها فى دراسة الميول وهى : —

١ — الميول نحو الأشياء المادية الطبيعية ونحو حياة النبات أو الحيوان .

٢ — الميول المتصلة بالأمور التى تعتبر من وضع الإنسان كالأدوات الميكانيكية والصناعات والمهن والهوايات .

٣ — الميول الاجتماعية المتصلة بالأمور المنزلية أو المتصلة بالتاريخ أو النظام الاجتماعى .

٤ — الميول العقلية المتصلة بالتخيل والابتكار والمنطق والتفكير والعلوم والآداب .

٥ — الميول المتصلة بالأديان والفنون والنواحي الجمالية .

وقد قام الدكتور سرحان بدراسة اختلاف الميول بين الأطفال المصريين والأطفال الأمريكيين ، بحسب المعايير الثقافية السائدة فى كل من البيئتين ، واتخذ التقسيم الآتى أساساً لدراسته :

١ — الميول المتصلة بالأمور المادية .

٢ — الميول المتصلة بالنشاط الترويحى وأماكنه .

٣ — الميول المتصلة بالعلوم المدرسية المختلفة .

٤ — الميول المتصلة بالفنون والأشغال اليدوية والهوايات .

٥ — الميول المتصلة بتحسين الذات (Self-Improvement).

٦ — الميول المتعلقة بالناس .

الصفات الخلقية

يمكن تعريف الصفات الخلقية بأنها مجموعات من العادات والميول وأساليب السلوك المكتسبة ذات الطابع الثابت نسبيا التى يمكن ملاحظتها فى الشخص من تكرار ظهورها عنده فتجعله متميزا عن غيره من أفراد بيئته .

وتتكون الصفات الخلقية فى كل فرد نتيجة ما يتكون لديه من مبادىء ومثل عليا يمتصها ممن يحيطون به فى المنزل والمدرسة أو المصنع أو المجتمع العام . فهى إذن تعتمد على التعلم والتربية . ولذا نجد أن النواحى الخلقية فى الشخصية هي أكثر مكونات الشخصية قابلية للتغير والتطور والتقدم على مر الأيام ، وهى التى يمكن أن نرجع إليها ما يحدث للإنسان من حضارة ورقى ، كما أنها المجال الذى يظهر فيه التفاوت بوضوح بين الشخصيات من البيئات المختلفة وفى الأزمان المختلفة .

ونظراً لأهمية العوامل الخارجية فى تكوين الصفات الخلقية نجد أن هذه الصفات أقل ثباتاً وأكثر قابلية للتغير من الصفات المزاجية ، وبعض العلماء يذهبون لأكثر من ذلك فيقولون إنه ليس هناك صفات خلقية فى الشخص نفسه بحيث نتمكن بها من التنبؤ بما سيكون عليه سلوكه فى المواقف المختلفة ، بل إن الصفات الخلقية أكثر انتساباً إلى المواقف والظروف المحيطة بالشخص . ولأجل هذا يقول هارتشورن وماى (Hartshorne & May) فى بحثهما عن الأمانة : يصح أن نتحدث عن أعمال صادقة أو أعمال كاذبة بدل أن نتحدث عن أشخاص صادقين أو أشخاص كاذبين .

ويصدق هذا الرأى على الأخص فى الأطفال والأفراد فى الأعمار الصغيرة ، حيث لا يكون الشخص قد كون لنفسه مبادىء

يسترشد بها فى سلوكه أو أسسا لقيادة تصرفاته ، فتكون الصفات الخلقية التى يظهر بها رهينة بظروف المواقف والقوى المؤثرة فيها ، بحيث يصدق فى بعض الأمور ويكذب فى البعض الآخر ، ويظهر بمظهر الإخلاص فى موقف و بمظهر مضاد لذلك فى موقف آخر بحسب الظروف . . . وهكذا .

ولكن بمرور الزمن تتبلور الصفات وتتكون المبادىء والمثل مع النضوج والتربية ، ولذا نجد فى الشباب والكبر أشخاصاً يمكن أن نلمس عندهم صفات خلقية ثابتة نسبياً .

وقد أشار فلوجل (Flugel) إلى تطور الصفات الخلقية بتطور السن ، وقال إن من الممكن أن نلمس الانتقال والتدرج فى المظاهر الآتية : —

١ — من الأنانية إلى تقدير حقوق الغير .

٢ — من الاستغراق فى عالم الخيال إلى مواجهة عالم الحقيقة والواقع .

٣ — من السلوك الخلقى المبنى على الثواب والعقاب إلى السلوك المبنى على الاقتناع التلقائى .

٤ — من الانسياق وراء الانفعالات والدوافع إلى الانطياع لما يمليه العقل والتفكير .

٥ — من السلوك المبنى على العادات بدون فهم أو مناقشة إلى السلوك المبنى على البحث والتأمل والوعى .

٦ — من الاندفاع والعدوان إلى المسالمة والتفاهم .

٧ — من السلوك المفكك الغير مترابط إلى السلوك المنسجم المبنى على تحقيق أهداف معينة .

٨ — من مجاراة القواعد الأخلاقيـة إلى اتباع أسس الصحة النفسية .

قائمة الصفات الخلقية :

حاول بعض علماء النفس أن يجمعوا الصفات الخلقية التى يمكن الاستعانة بها فى تقدير الشخصية ، ووضعوا لذلك قوائم تختلف فى طولها وقصرها بحسب ما يذهبون فيهـا من بحث فى التفاصيل .

ومن أمثلة ذلك إحدى القوائم التى وضعها كاتل (Cattell) ، والتى أمكنه أن يبوبها فى مجموعات تعبر عن مناطق الشخصية المختلفة . وسيرى القارىء فى هذه القائمة بعض الصفات ذات الطابع المزاجى أو المعرفى ، وذلك لأن من الصعب كما قلنا أن نفصل بين هذه الصفات و بين الصفات الخلقية التى تبنى عليها .

وقد وصف كاتل كل صفة بذكر عكسها (Polar opposite) مما يسهل تقدير الأشخاص بتعيين الدرجة التى توجد بها كل صفة أو ضدها عنده ، كأن نقول مثلا إن أحد الأشخاص شجاع جداً ،

أو شجاع ، أو متوسط ، أو جبان ، أو جبان جداً . . . وهكذا .

وهذه بعض الصفات فى قائمة كاتل : —

١ — التهذيب والتكامل الخلقى ، وما يتبع ذلك من صفات الأمانة وإنكار الذات .

٢ — النضوج والتكامل الانفعالى ، وما يتبع ذلك من مدى قدرة الشخص على مواجهة الواقع ، واليقظة .

٣ — الصراحة والتفاؤل والاتزان ، وما يتبع ذلك من الروح الرياضية والتحرر من التعصب .

٤ — التعقل ووضوح التفكير وصفاء الذهن ، وما يتبع ذلك من قدرة على الابتكار والتصرف الحكيم .

٥ — نظرة الشخص لنفسه ولغيره ، وما يتبع ذلك من ميل إلى حب الظهور ، والغرور أو التواضع ، ولوم النفس أو لوم الغير .

٦ — الشجاعة والإقدام ضد الجبن والإحجام ، وما يتبع ذلك من حب المخاطرة والتحمس ، والاعتداد بالنفس .

٧ — الروح الاجتماعية وما ينطوى تحتها من حب العزلة والانكماش والخجل والاكتفاء الذاتى ، أو حب الاختلاط والاشتراك فى العمل مع الغير .

٨ — الثبات الانفعالى والاتزان المزاجى ، وما يتبع ذلك من تقلب أو تطرف ، ومن القدرة على ضبط النفس أو التسرع .

٩ — التمسك بالمبادىء والمثل العليا ، وما يتبع ذلك من العرفان بالجميل أو إنكاره ، والاستخفاف بالأمور ، وتقدير القيم الأخلاقية والعمل بها .

١٠ — النشاط والحيوية ومدى ما لدى الشخص من طاقة فعالة ، وما يتبع ذلك من التحمس والمثابرة وبذل الجهد ، أو القابلية للتعب والملل والتواكل .

١١ — القابلية للتحرر من القيود والعادات والأوضاع الجامدة ، وما يتبع ذلك من تمسك بالقديم والمحافظة على النظم والمواعيد الدقيقة ، وإتباع القواعد الدينية بحذافيرها ، أو التحرر فى الرأى والقابلية للتغيير .

١٢ — البوهيمية وعدم النظام والفوضى ، أو العمل على أسس وخطط موضوعة ، وما يتبع ذلك من وجود فلسفة خاصة عند الشخص ، ومدى انسجام أهدافه وأغراضه .

١٣ — الميل نحو الفنون الجميلة وتقدير الجمال والإبداع ، وما يتبع ذلك من قدرات موسيقية أو هبات جمالية وابتكارية أخرى .

١٤ — صفات القوة الجسمية والصحة العامة ، وما يتبع ذلك من احتمال للمشاق وصبر على مواجهة الصعوبات ، والتركيز والإقبال على العمل مدة طويلة .

١٥ — هواية النشاط الرياضى واللعب .

١٦ — الجرى وراء الشهوات الدنيوية ، كإدمان المخدرات والخضوع للذة الذاتية ، وعدم الاكتراث أو الاهتمام بتوجيه الحياة إلى ما هو أجدى .

١٧ — اتساع الأفق وكثرة الميول ، وحب الاستطلاع والبحث والتثقيف والاهتمام بما يجرى فى المجتمع وبالتغييرات السياسية فى الداخل والخارج .

١٨ — الاندفاع وراء الرغبات الحاضرة وعدم تقدير العواقب ، أو بعد النظر والعمل للمستقبل .

١٩ — مدى شعور الشخص بالرضا بما هو فيه ، وما يتبع ذلك من القناعة أو الطموح ، والمحافظة على عدم التغيير أو التبديل .

٢ — الاستقرار المكانى وتهيئة الذهن على الوضع المألوف وما يتبع ذلك من صعوبة التكيف فى البيئة الجديدة إذا تغيرت ، أو حب الرحيل والتنقل وسهولة الانسجام فى الوسط الجديد .

وقد يلمس القارىء بعض التداخل والتشابه والتكرار فى هذه الصفات مما يدل على صعوبة تحديدها ، وذلك لأن الشخصية كلها وحدة وكل محاولة لتحليلها تعتبر تحايلا على تسهيل البحث والدراسة .

التحليل العاملى فى محيط الصفات الخلقية :

لقد دلت أبحاث التحليل العاملى على وجود عامل خلقى عام (General Character - Factor) فى النواحى النزوعية يناظر الذكاء العام فى النواحى المعرفية والانفعالية العامة فى النواحى المزاجية .

وأول من أبرز وجود هذا العامل الخلقى هو وب (Webb) منذ عام ١٩١٥ حين رمز إليه بالحرف (W) ووصفه بالوضوح فى :

(١) الصفات الخلقية المبنية على القيم والمبادىء الاجتماعية .

(٢) المثابرة والكفاح للتغلب على الصعوبات والوصول للهدف .

(٣) الاتزان وضبط النفس والإرادة القوية .

(٤) التعامل الاجتماعى .

وقد أيدت البحوث الحديثة التى قام بها العلماء أمثال كاتل (Cattell) وثرستون (Thurstone) وجود هذا العامل الخلقى العام الذى يطلق عليه أحيانا العامل الإرادى الخلقى (Will-Character) إشارة إلى ارتباطه الوثيق بالنواحى النزوعية والإرادية .

أما العوامل الطائفية الخلقية فكثيرة ، وتتوقف على عدد ونوع الصفات التى يهتم الباحثون بأخذها فى حسابهم أثناء البحث ، ومن أمثلة العوامل الطائفية فى هذا المحيط ما يأتى : —

١ — عامل التكامل الخلقى ضد التفكك والانحلال .

٢ — عامل النضوج الخلقى والاعتماد على النفس ضد الطفولية والاعتماد على الغير .

٣ — عامل القيادة ضد التبعية .

٤ — عامل المخاطرة والإقدام ضد الانسحاب والاحجام .

مراجع :

1. R. B. Cattell : Description & Measurement of Personalty.
2. J. C. Flugel : Man, Morals & Society,
3. Hartshorne & May : Studies in Deceit.
4. W. McDougall : Character & Conduct of Life
5. E. A. Sarhan : Interests & Culture.
6. C. Spearman : The Abilities of Man.
7. G. F. Stout : Manual of Psychology

الفصل الحادى عشر

أثر البيئة فى تكوين الشخصية

تحدثنا فيما سبق عن مكونات الشخصية من النواحى الجسمية والعقلية المعرفية والمزاجية والخلقية ، ورأينا أن هذه النواحى جميعاً تتأثر بعاملى الوراثة والبيئة معاً ، ولكن بدرجات متفاوتة ؛ فالتكوين الجسمى والاستعدادات المعرفية والتكوين المزاجى يغلب فيها تأثير الوراثة ، بينما النواحى الثقافية والمهارات والعواطف والاتجاهات النفسية والميول والعادات والصفات الخلقية يغلب فيها تأثير البيئة .

وقد مضى الوقت الذى كان يقال فيه إن هذه الناحية من الشخصية فطرية صرفة وأن تلك الناحية مكتسبة صرفة ، ويكاد يوجد اتفاق تام على أهمية كل من العاملين ، وعلى أنهما يعملان معاً جنباً لجنب فى كل مظهر من مظاهر الشخصية .

والمقصود بالبيئة كل ما يحيط بالفرد ويؤثر فيه مدة حياته سواء كان ذلك متصلا بعوامل طبيعية أو اجتماعية أو متعلقا بما يحيط بالفرد من تراث ثقافى ونظم تربوية وتقاليد وعادات .

ويمكن أن ندرس تأثير البيئة فى تكوين الشخصية بالإشارة إلى : —

١ — البيئة المنزلية .

٢ — البيئة المدرسية .

٣ — بيئة المجتمع العام .

البيئة المنزلية

المنزل هو المزرعة الأولى التى تنبت فيها بذور الشخصية ، وتدل الدراسات التتبعية للأطفال والكبار على أن أسس الشخصية التى تتكون فى المنزل فى السنين الأولى من حياة الطفل يصعب فيما بعد تعديلها أو تغيير جوهرها ؛ إذ أن البيئة المدرسية لا ينفذ أثرها بعيداً فيما وراء النواحى المعرفية والثقافية . وقد قام بعض الباحثين فى أمريكا بمقارنة أثر كل من المنزل والمدرسة فى تكوين الشخصية ، فوجد أن نصيب الأم فى التأثير على التكوين الخلقى للطفل يوازى ٦٠ درجة ، ونصيب أقرب صديق للطفل ٥٨ درجة ، ونصيب الأب ٤٠ درجة ، بينما وجد أن نصيب مدرس الكشافة — وهو أقرب المدرسين إلى التلميذ — ٢٠ درجة ، ونصيب المدرس العادى ٨ درجات فقط . مما يدل على أن المدرسة لا تخلق

شخصية جديدة ، وإنما تبنى على الأسس التى وضعها المنزل محاولة تهذيبها وتوجيهها .

ويمكن تلخيص العوامل المنزلية التى تؤثر فى تكوين شخصية الطفل فيما يأتى : —

١ — الوالدان :

فهما مصدر العطف ومبعث الاطمئنان ، فإذا فقد الطفل أحدهما بالوفاة أو بسبب الطلاق والتفكك العائلى ، فإن هذا من شأنه أن يؤثر فى شخصية الطفل نتيجة ما يتبع ذلك من تغيير فى المعاملة وحرمان من العطف ، وقد تزداد الحالة سوءاً إذا كان للطفل زوجة أب أو زوج أم ، أو إذا فقد الطفل والديه . . وهكذا . .

٢ — الحالة المادية فى المنزل :

يتبع ذلك حالة المنزل من فقر أو غنى ومن شعور الطفل بمركزه العائلى واعتزازه به ، فقد دلت الدراسات الاجتماعية على أن الفقر عامل فعال فى تكوين الشخصية بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، سواء من حيث التأثير فى الحالة الصحية ، أو من ناحية نقص التغذية أو عدم كفايتها ، أو من ناحية عدم استكمال وسائل الراحة أو التمكن من حصول الطفل على مطالبه واضطراره أحيانا إلى السرقة أو التشرد . . وهكذا . .

٣ — الحالة الثقافية فى المنزل :

وتشمل مدى ما يقدمه الآباء لأطفالهم من كتب ومجلات ومايحيطونهم به من جو ثقافى ، سواء فى إجابات أسئلتهم أوتسهيل استفادتهم الثقافية عن طريق الرحلات والأسفار والذهاب إلى السينما وقراءة الصحف وسماع الإذاعة . . وهكذا . .

٤ — الحالة الوجدانية والانفعالية التي تحيط بالطفل فى الجو المنزلى :

ويتبع ذلك المعاملة التى يلقاها من أبويه ومدى اتفاقهما أو تضارب آرائهما فى هذه المعاملة . ثم مدى تشددهم وتساهلهم فى الثواب أو العقاب مع الطفل . . . ومما يؤثر فى الحالة النفسية للطفل بصورة مباشرة مايشعر به من جو عام فى المنزل سواء كان ذلك خاصاً بعلاقة الأبوين وخلافاتهما الزوجية ، أو بعلاقة الطفل بإخوته أو باقى أفراد المنزل الآخرين من جدات وخدم وأقارب .

٥ — الإخوة :

فقد أشار أدلر (Adler) إلى أهمية مركز الطفل فى العائلة وأثر ذلك فى تكوين الطابع العام لأسلوب حياته ونوع شخصيته كما أشار فلوجل (Flugel) إلى أثر علاقة الطفل بإخوته ، وأثر علاقاتهم فى المجتمع المنزلى فى تحديد أساليب السلوك وتكوين

الصفات الخلقية والطباع المزاجية ، من ميل إلى التعاون أو العناد والمشاكسة أو الغيرة أو الانقياد أو التبعية . . وهكذا . . ووصف علماء النفس الصفات التى يغلب وجودها فى الطفل الأول والتى تميزه عن الطفل الثانى والطفل الأخير فى العائلة . . فقالوا إن الطفل الأول يحظى من أبويه بعناية ورعاية أوفى من غيره فتجاب مطالبه وينشأ مدللا معتمداً عليهم ، ولذا يتعود على الاتكال ويكون قليل الكفاح وأقل نجاحاً فى الحياة من الطفل الثانى الذى ينشأ على حب المنافسة والمثابرة على الكفاح والاعتماد على النفس ، نتيجة الظروف التى وجد نفسه فيها منذ ولادته ووجود أخيه الأكبر أمامه محتلا المكانة الأولى فيضطر لبذل الجهد حتى يصل إلى النجاح والتفوق عليه . . وأما الطفل الأصغر فيكون أكثر تمتعاً بطفولته وحريته لأنه يعامل على أنه ضعيف ولا يطلب إليه تحمل المسئولية بسرعة ، ويكون فى مستقبله أقل قدرة على القيادة ، وقد يعوض عن شعوره بنقصه فينجح فى حياته . وهكذا

ويمكن بوجه عام أن نلمس أثر البيئة المنزلية فى تكوين شخصية الطفل بالرجوع إلى سجلات حالات الأطفال المشكلين فى العيادات السيكلوجية ومكاتب الأحداث ، وبالرجوع إلى الدراسات التى تعمل فى التحليل النفسى لدراسة مشاكل الكبار

المصابين بأمراض نفسية وعقلية ، حيث يقرر الإخصائى الاجتماعى دائما وجود المشاكل المنزلية التى تسبب الشذوذ فى هذه الحالات ، بل إن (Neill) يقول : « فى الحقيقة لا يوجد أطفال مشكلين وإنما المشكلون هم الآباء والكبار » .

فالطفل المهمل المحروم هو الذى ينشأ ميالا للاعتداء ، والطفل المدلل هو الذى ينشأ على الجبن والانكماش والخجل ، والطفل الذى ينشأ تحت ضغط القسوة والتقييد هو الذى ينشأ ثائراً على السلطة غير محب للخضوع للنظام ، والأطفال الذين ينشأون فى منازل مفككة أو متدهورة هم الذين يكونون نسبة كبيرة بين المتشردين والمجرمين .

البيئة المدرسية

المدرسة هى البيئة الثانيـــة التى يواصل الطفل فيها نموه وإعداده للحياة المستقبلة ، والتى تتعهد القالب الذى صاغه المنزل لشخصية الطفل بالتهذيب والتعديل بما تهيئه له من نواحى النشاط لمرحلة النمو التى هو فيها .

وبالتحاق الطفل بالمدرسة تتسع الدائرة التى تكون مجال سلوكه ، وتبدأ حلقة جديدة من حلقات حياته التى تعتبر مرحلة

من مراحل الفطام النفسى وتحرر الطفل من الجو الاتكالى بالمنزل إلى الجو الذى يشعر فيه الطفل بشىء من الاستقلال ، فيخرج من المجتمع الصغير الذى كان يتكون من والديه وإخوته وباقى أفراد المنزل إلى مجتمع أكثر اتساعا وأقل تجانسا ، وهو المجتمع المدرسى الذى يتكون من الناظر والمدرسين والتلاميذ وغيرهم . وفى هذا المجتمع الجديد مجال واسع للتدريب والتعلم والتعامل مع الغير والتكييف الاجتماعى وتكوين الأسس الأولية للحقوق والواجبات والقيم الأخلاقية .

ومن أهم العوامل المدرسية ذات الأثر المباشر فى تكوين شخصية الطفل ما يأتى : —

١ — الروح المدرسية العامة :

وتشمل ما يسود الجو المدرسى من استقرار أو اضطراب ، وما يتبع فى معاملة التلاميذ من شدة أولين ومن ثواب وعقاب ومن ثبات فى هذه المعاملة ، وما تحققه المدرسة من عدل اجتماعى وتقدير واحترام لكل تلميذ مهما كانت طبقته الاجتماعية ، وما تهيئه للجميع من شعور بالأمن والاطمئنان وما تبعثه فى نفوسهم من شعور بالعزة والكرامة . . وهكذا . .

ويتوقف مدى تأثير المدرسة فى شخصية الطفل على مدى

ما تحققه من أغراض تربوية عامة ، فالمدرسة التى تقصر عملها على مجرد تلقين المعلومات وتحفيظ الدروس لا يتعدى أثرها ناحية التكوين المعرفى ؛ أما المدرسة التى تعمل على تربية الشخصية من جميع نواحيها المعرفية والمزاجية والخلقية ، وتضع فى برامجها من نواحى النشاط الاجتماعى والعملى ما يتفاعل مع شخصية الطفل كلها ، فهى التى تستطيع أن تحدث تغييرا ملموساً فى تكوين الشخصية .

ومن أمثلة المدارس التى تعنى بتربية الشخصية فعلا ذلك النوع الموجود بانجلترا والذى يسمى المدارس العامة (Public Schools) ، وهى مدارس ذات تقاليد خاصة ، يعيش التلاميذ بالأقسام الداخلية بها على نظام الأسر (House System) ويستمرون بها طول مدتى مرحلتى الدراسة الابتدائية والثانوية معاً ، بحيث يتشبعون بتقاليد المدرسة ونظمها وعاداتها ، وتقوم الدراسة بهذه المدارس على أساس الاهتمام بالحياة الاجتماعية وتربية الشخصية والروح الرياضية وتكوين المبادىء الخلقية والمثل العليا بجانب الاهتمام بالنواحى الثقافية والمعرفية التى لاتطغى على النواحى السابقة .

٢ — عامل المدرس :

فهو المصدر الذى يعتبره الطفل النموذج الذى تستمد منه المعرفة والمبادىء الخلقية ، ومصدر السلطة الذى يلجأ إليه التلميذ فى معرفة الخطأ والصواب ، والسلوك السوى المقبول والسلوك الشاذ الغير مرغوب . .

ولهذا نجد للمدرسين مثل ما للآباء من الأثر فى تكوين فكرة الطفل عن نفسه وفى تربية خلقه وتكوين شخصيته ، ويتوقف تأثير المدرس فى التلميذ على ما يشعر به التلميذ نحو المدرس من تقدير واحترام ، فكم من الناس قد تغيرت حياتهم وتحدد مستقبلهم نتيجة الإعجاب بالمدرس وتأثيره ، وكم من الناس قد كرهوا العلم وكرهوا الحياة وهجروا المدارس بسبب المدرس أيضاً .

فأثر المدرس إذن يمتد وراء النواحى المعرفية والثقافية إلى ماينتقل منه إلى التلميذ عن طريق التقليد والمحاكاة فى أساليب السلوك وصفات الشخصية الأخرى ، وما يحدثه المدرس من توجيه ميول التلميذ واتجاهاته العقلية نحو الأمور المختلفة من هوايات وفنون وآداب مما يكون له أثر كبير فى توجيه حياته المستقبلة .

٣ — عامل النجاح المدرسى :

يتوقف النجاح المدرسى على عوامل كثيرة ، ولكن النجاح فى ذاته عامل ذو أثر كبير فى تكوين الشخصية ، إذ أن النجاح يتبعه عادة تقدير ورضاً من الغير وشعور بالارتياح والثقة بالنفس ، أما الرسوب والفشل المتكرر فيتبعه فى العادة تأنيب النفس و نقد الغير ، وعدم الشعور بالارتياح أو الرضاً . وكل هذه عوامل نفسية تؤثر فى فكرة الشخص عن نفسه ، وفى شعوره بالنقص أو شعوره بالكفاية وما يتبع ذلك من أثر على الشخصية كلها . وكلنا يقدر الطاقة النفسية وراء النجاح وما تحدثه من توقد الحماس و إيقاظ الأمل مما يساعد على بذل الجهد ومواصلة السعى إلى تكرار النجاح ، أما فى حالات الفشل والرسوب فيحاول الشخص عادة توجيه طاقته إلى نواح أخرى تشعره بالنجاح والتفوق ، كإحداث الشغب وارتكاب الجرائم أو تزعم التلاميذ فى الخروج على النظام وقيادة المظاهرات . .

وكل هذا لا ينكر أثره فى الطابع المزاجى للشخص وفى درجة الثبات الانفعالى عنده ، وما يتبع ذلك من صفات خلقية ، وغنى عن الذكر ما يحدثه النجاح أو الفشل من تغيير فى مجرى حياة الشخص وأسلوب سلوكه ، وتحديد لمستقبله الثقافى والمهنى ونجاحه فى الحياة بوجه عام .

ويرتبط بهذه الناحية فى تكوين الشخصية عيوب الامتحانات التقليدية المتبعة فى تقدير النجاح ، وما تؤدى إليه من تكوين الشخصيات السطحية فى ثقافتها والتى تعكس ما لاقته من قسوة الامتحانات فى صورة السخط على المجتمع .

بيئة المجتمع العام

بجانب ما تتأثر به شخصية الطفل من عوامل منزلية ومدرسية نجد نوعا آخر من التأثير الذى يتم بطريقة يصعب التحكم فيها . ذلك هو تأثير البيئة بالمعنى الواسع التى يمكن تلخيص عواملها فيما يأتى : —

١ — الموقع الجغرافى للوطن الذى تنشأ فيه الشخصية ، وما يتبع ذلك من مؤثرات جوية ، ومن طبيعة أرضية من جبال وسهول وبحار وأنهار وصحار ووديان . . وهكذا . فسكان الجبال والغابات أكثر ميلا للمخاطرة والقتال من سكان السهول والوديان وهكذا . .

٢ — نوع الحياة المدنية ، ونوع الحرف والصناعات التى يتطلب من الشخص حذقها وإتقانها فى البيئة ، فسكان المدن يختلفون عن سكان القرى وسكان البلاد الصناعية يختلفون عن

سكان البلاد التجارية ، وسكان القصور يختلفون عن سكان الخيام ، والذين يعيشون على الصيد والقنص يختلفون عمن يعيشون على الرعى والزراعة . . وهكذا .

٣ — النظم والأوضاع الاجتماعية الثابتة نسبياً كالدين واللغة والنظام السياسى والاقتصادى ، فلكل ديانة مبادئها وطقوسها ، والشخص الذى ينشأ فى بلد ديموقراطى يختلف عمن ينشأ فى بلد شيوعى . . وهكذا .

٤ — الروح الاجتماعية السائدة المرتبطة بالعلاقات بين الرجل والمرأة والدور الذى يقوم به كل منهما فى المجتمع ، ونظرة كل منهما للآخر ومدى السلطة المعطاة لكل منهما ، فهناك مجتمعات تعطى المرأة حقوقها فى المساواة مع الرجل ومجتمعات تحد من هذه الحقوق ، ويتبع ذلك اختلافات جوهرية فى نوع الشخصية .

٥ — العادات والوسائل التربوية التى تتبع فى تنشئة الأطفال ومعاملتهم فى مراحل النمو المختلفة ، وما يتبع ذلك من شدة أو لين ومن تساهل أو تدقيق ، ومن ثواب وعقاب ومن تأجيل الفطام وطول مدة الطفولة ، أو تقصير مدة الرضاعة وسرعة الفطام وانخراط الطفل فى أعمال الرجولة من سن مبكر . . وهكذا .

٦ — المعايير الخلقية والاجتماعية السائدة ومدى ما يوجد بين الأفراد من انقياد للنزعات العدوانية وحب الأخذ بالثأر وقتال وحروب ، أو مسالمة وتعاون وهدوء وحب وعطف وروابط ودية ، فهناك قبائل وجماعات ترى الفخر فى القتال والنضال وقبائل وجماعات تحب السلام والهدوء والأمان . وهذا يؤثر فى تكوين الشخصية فى أفراد كل جماعة .

٧ — ما يعتبر شاذاً وما يعتبر عادياً فى البيئة . فالمعروف أن الشذوذ أمر نسبى ويتوقف على نظرة المجتمع ، فهناك جماعات تعتبر السرقة جرأة والأخذ بالثأر عزة . وهناك جماعات ترى التهتك والفوضى الأخلاقية حرية . . وجماعات ترى فى الضغط والكبت والحرمان من الاختلاط تديناً وأدباً . . وهكذا .

وطبيعى أن الشخصية تتأثر بذلك ، إذ يحاول كل فرد أن يكون متمشياً مع ما هو عادى فى الجماعة التى ينتمى إليها . .

٨ — أنواع الثقافات ودرجة التعليم وما يتبع ذلك من تمسك بالخرافات والعادات المرذولة واعتقاد فى السحر والشعوذة ، أو التصرف فى الأمور بناء على أسس علمية ودراسات صحيحة .

أمثلة لتأثير البيئة فى الشخصية

قام علماء الأنتروبولوجيا (Anthropology) بدراسات مقارنة لأنواع مختلفة من القبائل والشعوب فى البيئات المختلفة ، وما تحدثه البيئة من أثر فى تكوين صفات الشخصية التى يظن أنها فطرية . ومن أمثلة ذلك البحث الذى قامت به مارجريت ميد (Margret Mead) فى دراسة ثلاث قبائل من بيئات مختلفة ، حيث وجدت أن طابع البيئة ينعكس على شخصية الأفراد ، بحيث تتباين الطباع والصفات بوضوح كبير بفعل مؤثرات البيئة الطبيعية والاجتماعية . وإلى القارىء ملخصاً سريعاً لهذه القبائل الثلاثة : —

١ — قبيلة أرابش :(Arapech)

وهى قبيلة يعيش أهلها على سفوح الجبال ، ويشتغلون بالرعى والزراعة ، وينشئون أطفالهم نشأة لينة بدون تشدد فى قسوة أو عقاب ، وحياتهم العامة طابعها الهدوء والمسالمة ، ولذا نجد شخصياتهم تنفر من النزاع ولا تميل للمقاتلة ، وحياتهم الزوجية هادئة تشوبها العلاقات العاطفية الودية ، ويكاد يوجد نوع من المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات .

٢ — قبيلة منديوجومر : (Mundugumor)

ويسكن أهلها الغابات والأحراش ، ويشتغلون بالصيد والقنص وقطع الأشجار ، وحياتهم ممزوجة بالمخاوف والدفاع والقتال ، لا يعرفون السلم أو الهدوء ، يتسمون بالسطوة والسيطرة على القبائل المحيطة بهم ، يقاتلون فى سبيل حب التملك ، وحياتهم مشوبة بالقلق والاضطراب والمنافسة والنزاع ، ينشأ أطفالهم على القسوة والبغض والعقاب الصارم ، ويشب الطفل ليجد نفسه فى بيئة عدوانية مملوءة بالتشاحن والتطاحن ، حتى أن الأم ترضع الطفل لماما وتبادر بفطامه سريعاً . أما الروابط العائلية فبعيدة عن الشعور بالاطمئنان ، ويتنازع الرجال النساء ويتنازع النساء الرجال ، بل ويتنازع الرجال والنساء على السلطة فيما بينهما ، وعلى الجملة نجد أن الصفات الغالبة فى كل من الرجل والمرأة هى تلك الصفات التى نسميها نحن صفات الرجولة ، لما تتسم به من قوة وخشونة وعنف وقتال .

٣ — قبيلة تشامبولى : (Tchambuli)

وتسكن بيئة ساحلية ، ويشتغل أهلها بصيد الأسماك ، ولكن النساء يقمن بالنصيب الأكبر من المسئولية ، فعليهن القيام بالصيد وعمل الشباك ، علاوة على إنجاب الأطفال ورعايتهم

والإشراف عليهم ، وعليهن إدارة حياة المنزل الاقتصادية ، أما الرجال فيذهبون للأسواق ، ويقومون بمهمة الرقص وإقامة الحفلات للترفية عن النساء ، ويدفع النساء أثمان مشاهدة مثل هذه الحفلات . . . أى أن الرجال يقومون بدور المرأة ، والمرأة تقوم بعمل الرجل..وهذاهوالوضع العادى الذى ارتضته هذه الجماعة ونشأت عليه ، ولذا يتصف الرجال بالتخنث والضعف أمام النساء ، وتقل بينهم المنافسة أو السيطرة ، ولـكن غيرتهم على النساء تتخذ مظهراً هادئاً يبدو فى الحقد والغيبة واستراق السمع والتجسس ، أما النساء فيجتمعن فى تكاتف وقوة بحيث يشعر الرجال بالحاجة إليهن وإلى رعايتهن اقتصادياً وعاطفياً .

ويمكن القول بأن هذا المجتمع يعتبر سيادة المرأة أمراً طبيعياً وإذا ظهر بينهم رجل يميل للتسلط وعدم الخضوع للمرأة يعتبر شاذاً . .

ومن هذا نرى مثالا يوضح أثر البيئة فى تـكوين الصفات المزاجية والخلقية الثابتة نسبياً والتى يظن أنها فطرية وطبيعية ، فصفات الخشونة والسيطرة وتسلط الرجل على المرأة تعتبر من الصفات المـكتسبة ومن نتائج ظروف البيئة ؛ والنزعة العدوانية وحب المقاتلة أو المسالمة والهدوء والميل إلى الدعة تعتبر — من هذه الأمثلة — دوافع مكتسبة ويخضع تعبيرها لطبيعة البيئة . .وهكذا .

اختلاف الشخصية فى المجتمعات المعاصرة :

وقد حاول علماء الاجتماع (Sociology) القيام بدراسة مقارنة لأنواع الشخصية فى الشعوب المعاصرة ، وما تحدثه الاختلافات فى ثقافات هذه الشعوب ونظمها السياسية والاجتماعية من اختلاف فى تكوين الصفات البارزة فى الشخصية . ومن أمثلة ذلك مقارنة الأشخاص فى الشعوب الآتية : —

١ — سكان اليابان :

وهؤلاء ينشأون فى تنظيم اجتماعى يفنى فيه الفرد لصالح المجموع ، ويسوده الولاء الكامل للأمبراطور ، وينشأ أطفالهم فى جو من الرعاية والعطف الشديد الذى ينقلب بسرعة إلى شدة وقسوة وطاعة للنظام ، ولذا يتميز طابع شخصية اليابانى بالقلق والخوف ، والتفانى فى أداء الواجب نحو الأمبراطور والطاعة العمياء ، مع كبت الحرية والنزعة الاستقلالية .

٢ — الشعب الأمريكى :

وعلى النقيض من ذلك ينشأ الأمريكيون فى جو من الحرية والتفكك الاجتماعى نسبياً ، ولذا يتوقف نجاح كل فرد على جهده وكفاحه الشخصى ، وينشأ الأطفال فى بيئة تسودها الرعاية

والعطف ، فيشب الشخص معتمداً على نفسه و يعمل لنفسه و يلقى تبعة القتال والدفاع على الحكومة . . وهكذا

٣ — شعوب أخرى :

وقياساً على ذلك يمكن أن نفهم شخصية الإنجليزى الذى ينشأ فى بيئة صناعية و يتعود التنقل فيما وراء البحار والسفر إلى المستعمرات ، وشخصية الألمانى أيام النازية الذى ينشأ على النظام العسكرى الدقيق . . . وشخصية الروسى الذى يعيش فى بيئة تسودها الشيوعية . . . وهكذا .

مراجع :

1. A. Anastasi : Differential Psychology.
2. R. B. Cattell : An Introduction to Personality.
3. O. Klineberg : Social Psychology.
4. M. Mead : Sex & Temperament in three Primitive Societies.
5. Murphy & Newcomb : Experimental Social Psychology
6. K. Young : Social Psychology.

الفصل الثانى عشر

تكامل الشخصية

لقد رأينا من تحليلنا للنواحى الجسمية والعقلية والاجتماعية أن من الممكن أن نصل فى هذا التحليل إلى عدد لا نهائى من العناصر والصفات التى يمكن أن تختلف فى النوع والكم والكيف.

وقد رأينا أن من الممكن أن نرجع اختلاف الشخصيات وتباين الأفراد إلى ذلك العدد الكبير من التباديل والتوافيق التى يمكن أن تتجمع بها مجموعة الصفات التى تمثل نواحى الشخصية وأركانها الرئيسية بحيث تتكون منها التنظيميات والتشكيلات التى يتكون بها الفرد .

ولكن ليس المهم فى دراستنا للشخصية أن نعرف تحليل الصفات التى تكونها فقط ، بل يجب أيضاً أن نقف على مدى ما يحدث بين هذه العناصر من توافق وتداخل وانسجام فى التركيب بحيث تنتج منها تلك الوحدة التى لا تتجزأ ، وأن نعرف إلى أى حد تتميز الشخصية بالنضوج والتكامل والصحة الجسمية والنفسية .

معنى التكامل :

التكامل يفيد النمو والنضوج مع التوافق والانسجام بين الأجزاء لتتكون منها وحدة أو كل عام ، فهو إذن عملية مستمرة باستمرار الحياة ، ولكن الكمال التام أمر نظرى ، ولذا يمكن أن نعتبر أن لكل شخصية درجة من التكامل تزيد أو تنقص بحسب عوامل كثيرة ، وأن التكامل غاية ترمى إليها التربية بما تحدثه من التغيرات المتتابعة التى يتسع نطاقها باتساع الدائرة التى يعيش بها الشخص فى مراحل نموه المختلفة .

ويمكن أن ندرك معنى التكامل بوضوح أكثر إذا تأملنا العدد الكبير من الخلايا التى يتكون منها الجسم ، وكيف تتجمع وتنتظم هذه الخلايا فى مجموعات ووحدات بحيث تكاد كل خلية أن تفقد فرديتها تماما . وكيف أن هذه الوحدات تنتظم مع بعضها لتكون أعضاء الجسم . . وكيف ينتج من هذا كله تلك الوحدة الكبيرة التى تمثل الجسم كله .

ويضاف إلى ذلك ما يحدث من الترابط والانتظام بين الوظائف الفسيولوجية التى تؤديها أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة فى تآلف وانسجام ، بحيث يكون الإنتاج النهائى مبنياً عليها جميعاً وبحيث يتأثر هذا الإنتاج كله إذا انتاب أحد الأجزاء مرضاً أو تعطيلا . .

ويقول شرنجتون (Sherrington) عالم الفسيولوجيا الشهير أن من الممكن اعتبار وظائف أجزاء الجهاز العصبى الرئيسية قائمة على معنى التكامل الذى يمكن أن نلمس فيه نوعا من التدريج الواضح ؛ فالنخاع الشوكى مثلا يعتبر مركزاً يقوم بوظيفة تكامل الأفعال المنعكسة ، بينما المخيخ يعتبر المركز المسئول عن تكامل حركات الاتزان بما تشمله من الأفعال منعكسة أيضاً ، وأما المخ فهو المركز الرئيسى الذى يقوم بعملية التكامل لجميع الوظائف التى يقوم بها النخاع الشوكى والنخاع المستطيل والمخيخ وباقى أجزاء الجهاز العصبى كلها . . .

هذا ويصح أن نشير إلى تكامل العمليات العقلية ونواحى السلوك المختلفة بتقدم مراحل نمو الشخصية ، فمن المعروف أن تصرفات الطفل تتكون من وحدات جزئية مبعثرة ومفككة فى مراحل الحياة الأولى ، ولكن بمرور الزمن لا تلبث أن يحدث بينها نوع من التوافق والتجمع فى وحدات متعاونة أكبر فأكبر ، كما يحدث فى تكوين العادات والمهارات الحركية مثلا ، ثم يحدث التكامل فى مجموعات من العادات والصفات لتتكون الطباع العامة ، وهذه الطباع تتكامل مع العواطف وأنماط التصرف فى البيئة لتتكون منها الصفات الخلقية . . وهكذا .

الصحة النفسية : (١)

مما سبق يتضح أن التكامل بما ينطوى عليه من نمو وتوافق بين مكونات الشخصية كلها يعتبر عاملا هاما فى الصحة النفسية ، فكما أن التكامل بين أجزاء الجسم والتوافق بين الوظائف المختلفة يؤدى إلى الصحة الجسمية فكذلك نجد أن الصحة النفسية تتضمن ما يأتى : —

١ — النمو الكامل لجميع القدرات والاستعدادات والنزعات الفطرية والمكتسبة .

٢ — تمكن هذه النزعات والاستعدادات والقدرات من التعبير عن نفسها .

٣ — التوافق والانسجام وعدم وجود التصادم بين هذه النزعات فى أثناء تعبيرها عن نفسها .

٤ — عدم تعارض هذه النزعات مع مقتضيات البيئة المادية والاجتماعية .

٥ — الخلو من الاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية .

٦ — الشعور بالقدرة على العمل والإنتاج والإحساس بالكفاية والسعادة .

---

(١) انظر كتاب أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصى .

هذا ويمكن أن نقارن بين الأشخاص من حيث تكامل شخصياتهم ومن حيث مدى ما لديهم من الصحة النفسية بما يأتى : —

أولا : مستوى الإنتاج العقلى :

فلكل شخص طاقة محدودة وكفاية خاصة إذا قل الإنتاج عنها كان الشخص خاملا كسولا ضعيف الشخصية ، وإذا زاد الإنتاج عن حدوده فإن ذلك يكون على حساب أعصاب الشخص فيؤدى إلى الإرهاق والانهيار العصبى . وهناك أشخاص تسوقهم أعصابهم المتعبة وقلقهم النفسى إلى مضاعفة مجهودهم بشكل مبالغ فيه فيحدث لهم الانهيار العصبى نتيجة ذلك الإرهاق .

ثانيا : مدى التكيف الاجتماعى :

فالإنسان اجتماعى بطبعه ، وقد رأينا كيف تختلف الميول والأهواء وكيف تتباين الصفات النفسية والخلقية بين الأشخاص، ولكن من دلائل الصحة النفسية قدرة الشخص على الانسجام فى الوسط الذى يتعامل معه وما تمليه قوى المجتمع من تقاليد وعادات ونظم دينية وسياسية وغيرها .

أما من يخرج على قومه وتتباين طباعه مع المألوف والسائد فى بيئته فإنه يعتبر شاذا ، فالشذوذ فى الناحية الاجتماعية يعتبر

أمراً نسبيا كما قلنا بحيث أن ما هو شاذ فى وسط ما قد يكون عاديا فى وسط آخر .

ولكن ليس معنى هذا أن المجتمع دائما يكون صوابا أو صالحا ، ولذا فالتكييف الصحيح يتطلب أكثر من مجرد الاستسلام لما يجرى فى المجتمع بأن يحاول الشخص أن يساهم فى إعلائه وتقدمه ورقيه .

ويمكن أن نحكم على تصرفات الشخص الاجتماعية فى النواحى الآتية : —

١ — تكييف المرء نحو نفسه .

٢ — « « « عائلته وفى زواجه .

٣ — « « « من يحيطون به فى ميدان العمل .

٤ — « « « باقى أفراد المجتمع الذى يعيش فيه .

٥ — الاتجاهات العقلية نحو الإنسانية والمثل العليا .

انحلال الشخصية :

و إذا أصيبت الشخصية بالتفكك والانحلال فإن هذا يؤدى إلى حدوث المشكلات والأمراض النفسية ونواحى الشذوذ التى يمكن أن نلمس أثرها فيما يأتى : —

١ — الشذوذ فى النواحى الجسمية كما يظهر فى الأمراض الجسمية ومشاكل ذوى العاهات .

٢ — الشذوذ فى النواحى العقلية المعرفية كما يظهر فى حالات الضعف العقلى بأنواعه .

٣ — الشذوذ فى النواحى المزاجيـة كما يظهر فى مشكلات الأطفال والأمراض النفسية .

٤ — الشذوذ فى النواحى الخلقية والاجتماعية كما يظهر فى التشرد والانحراف وارتكاب الجرائم .

هذا ويجب أن نؤكد مرة أخرى أن الشذوذ فى أى ناحية من نواحى الشخصية يؤثر على باقى النواحي الأخرى ، كما أن الشذوذ والانحراف لا يرجع لسبب واحد وإنما تكون له غالبا جملة أسباب .

الفصل الثالث عشر

طرق دراسة الشخصية

يتوقف اختيار الطرق التى تتبع فى دراسة الشخصية على الغرض من هذه الدراسة ، وعما إذا كان المراد قياس نواح خاصة منها كالذكاء أو الطابع المزاجى ، أو تقدير الشخصية للحكم عليها بصفة عامة .

دراسة النواحى الجسمية :

وتشمل تتبع الصفات الموروثة ، وتعيين المميزات التشريحية ، وقياس أبعاد الجسم وشكله العام ، ثم الوقوف على التكوين الغددى والكيماوى والدموى ، ودراسة تقاسيم الوجه وتعبيراته . . وهكذا .

ويستعمل لذلك وسائل الكشف الطبى المختلفة لقياس ضربات القلب وضغط الدم ومعامل التنفس ، ثم قياس زمن الرجع (Reaction Time)، والاتزان الحركى ،واستعمال جهاز قياس التغيرات الكيماوية المصاحبة للانفعال (Psychogalvanometer) وجهاز قياس التيارات العصبية للمخ (Electroencephelogram)وهكذا.

دراسة النواحى المعرفية :

وتشمل قياس الذكاء والمواهب الخاصة والثقافة العامة والقدرات التحصيلية . ويستعمل لذلك اختبارات مقننة (Standardised) .

ويمكن تقسيم اختبارات الذكاء إلى :

١ — اختبارات لفظية وتشمل :

(ا) اختبارات فردية مثل اختبار بينيه (Binet) .

(ب) اختبارات جمعية مثل اختبار الذكاء الثانوى .

٢ — اختبارات غير لفظية وتشمل .

(ا) اختبارات جمعية مثل اختبار الذكاء الحسى واختبار الذكاء المصور .

(ب) اختبارات فردية مثل اختبار متاهات بورتيوس واختبار الإزاحة لألكسندر .

أما اختبارات المواهب الخاصة فلكل نوع من هذه المواهب اختبارات خاصة بها ، كاختبارات القدرات الموسيقية واختبارات القدرات الميكانيكية واختبارات التصور البصرى . . وهكذا .

وأما اختبارات الثقافة العامة فهى اختبارات مقننة أيضا وأسئلتها تقيس المعلومات العامة التى يمكن للشخص أن يمتصها من البيئة التى يعيش فيها .

وأما اختبارات القدرات التحصيلية فتشمل الاختبارات الموضوعية (Objective Tests) التى تحل محل الامتحانات العادية فى قياس التحصيل المدرسى فى نواحيه المختلفة ، و بعض هذه الاختبارات له قيمة تشخيصية (Diagnostic) لتعرف نواحى الضعف . وهذه إما فردية أو جمعية ، وبعضها لغرض التقدير والقياس .

وتشمل النواحى المعرفية أيضا قياس العمليات العقلية المعرفية بالاختبارات الخاصة بها مثل اختبارات التذكر بأنواعها ، واختبارات التصور ، واختبارات التخيل ، واختبارات التفكير ، واختبارات تقدير الجمال وهكذا . .

دراسة النواحى المزاجية والانفعالية :

وتشمل قياس الانفعالية العامة والطابع المزاجى والصفات الانفعالية الخاصة ويتبع فى ذلك ما يأتى : —

١ — الحصول على تقديرات الغير للصفات المزاجية والانفعالية المراد قياسها ، أو الحصول على تقديرات الشخص لنفسه فى هذه الصفات ، وتعطى هذه التقديرات فى شكل يسهل معالجتها إحصائياً ، ويمكن أن تستعمل لذلك مقاييس التقديرات (Rating Scales) .

٢ — اختبارات التكميل (Completion Tests) التى يطلب إلى الشخص فيها أن يكمل النقص الموجود فيما يقدم إليه مثل اختبارات تكميل القصص ، واختبارات تكميل الصور ، واختبارات تكميل الجمل . . وهكذا .

٣ — الاختبارات الإسقاطية (Projection Tests) ويقصد منها أن يفرغ الشخص ما فى نفسه عن طريق التعبير الذى يعطيه الفرصة للتنفيس عما عنده من رغبات وما فيه من طباع مزاجية ومن أمثلة ذلك :—

(ا) اختبار تفهم الموضوع :
(Thematic ApperceptionTest).

(ب) اختبار بقع الحبر لرور شاخ :
(Rorschach Ink Blots)·

(حـ) اختبارات تفسير الصور الغامضة :
(Interpretation of Ambiguous Pictures)

٤ — اختبارات التداعى الطليق (Free Association) .

٥ — ملاحظة التعبيرات الثابتة فى الوجه التى تدل أحياناً على أنواع الانفعالات الغالبة فى الشخص .

دراسة النواحى الخلقية :

وتشمل معرفة عادات الشخص وصفاته الخلقية وميوله والنواحى التى يهتم بها ، ويتبع لذلك طرق الحصول على التقديرات

فى هـــذه النواحى باستعمال الاختبارات والاستفتاءات (Questionnaires) والملاحظة (Observation) ، وغير ذلك .

ثم دراسة التقارير والوثائق التى تلقى الضوء على حياة الشخص فى الماضى أو الحاضر للوقوف على أساليب التصرف والتعامل الاجتماعى . . وغيره .

ويصح أن تكون هذه التقارير مما يكتبه الغير عن الشخص أو مما يكتبه الشخص عن نفسه كالمذكرات والمفكرات والخطابات وما يتبع ذلك من تحليل هذا الإنتاج العقلى ومحتوياته .

ويمكن الاستعانة أيضاً بوسائل دراسة التعبيرات الحركية ، كدراسة الصور الفوتوغرافية والكاريكاتورية للشخص فى أوضاع مختلفة حتى نتبين أسلوب الشخص فى المشى وحركات الإشارة وتعبيرات الوجه . . وهكذا .

ويتبع ذلك أيضاً دراسة ما خلفه الشخص من إنتاج أدبى من شعر أو نثر وما ألفه من كتب ، ومن إنتاج فنى فى النواحى التى يكون له ميل فيها .

دراسة البيئة :

وتشمل جمع البيانات عن ظروف البيئة التى نشأ بها الشخص من عادات سائدة وطقوس دينية ، وخرافات ، وعلوم وآداب ،

وتراث ثقافى عام . كما تشمل التقارير الوافية عن الظروف المنزلية والمدرسية أو ظروف المصنع أو المجتمع العام مما يساعد على تقدير الشخصية .

الطرق العامة لدراسة الشخصية كلها :

هذا ويمكن أن نلخص طرق تقدير الشخصية كلها والحكم عليها فيما يأتى : —

١ — طرق الملاحظة (Observaion) سواء كانت ملاحظة الغير للشخص أو ملاحظة الشخص لنفسه ، وما يتبع ذلك من الحصول على التأمل الباطنى (Introspection) .

٢ — طريقة المقابلة أو الاختبار الشخصى (Interview) ويحسن أن يقوم بها شخصان واحد للاختبار والثانى لتدوين نتائج سير المناقشة والاختبار .

٣ — طرق التجريب (Experiment) وهى الملاحظة تحت ظروف صناعية بحيث يمكن تكرار الملاحظة فى نفس الظروف والحصول على نفس النتائج بالتقريب .

٤ — استعمال الاختبارات (Tests) بأنواعها المختلفة .

٥ — استعمال الاستفتاءات (Q uestionnaires) .

٦ — التحليل الإحصـائى (Statistical Analysis) لنتائج التجارب والاختبارات والاستفتاءات وغيرها .

٧ — المواقف المقننة (Standardised Situations) وهى وضع الشخص المراد اختباره فى مواقف معينـة لمعرفة أساليب تصرفه فيها سواء كانت هذه المواقف تتصل بأعمال مهنية خاصة من نماذج الحياة الواقعية ، أو مواقف تمثيلية مصطنعة تشبه ما يراد للشخص القيام به من عمل على ضوء الاختبار . . وهكذا . .

٨ — الطرق التحليلية (Analytical Methods) وتشمل تحليل الأحلام ، وتحليل أحـلام اليقظة ، وتحليل الـكتابة الأوتوماتيكية وتحليل الإنتاج الفنى أو الأدبى للشخص . وهكذا ، كما تشمل تحليل تصرفات الشخص فى مواقف العمل أو اللعب . وينطوى تحت هذه الطرق أساليب التنويم المغناطيسى وطرق التحليل النفسى المختلفة .

٩ — طريقة بحث الحالات الفردية (Case Study) وهذه هى التى تتبع فى العيادات السيكلوجية (Psychological Clinics) حيث يتم دراسة الحالة من جميع النواحى السابقة ، وحيث يتعاون الطبيب والإخصائى النفسى والإخصائى الاجتماعى وغيرهم فى هذه الدراسة .

١٠ — السيكوجراف (Psychograph) وهى طريقة توضيحية لتلخيص نتائج التقدير والقياس المختلفة ووضعها فى صورة بيانية تسهل إدراك صفات الشخصية البارزة ونواحى النقص أو القوة فيها .

مراجع :

1. Allport : Personality.
2. R. B. Cattell : An Introduction to Personality.
3. J. C. Flugel : Man, Morals & Society.
4. Hamley : The Testing of Intelligence
5. I. Ramzy : An Experiment in the Assessment of Personality.
6. Rappaport : Diagnostic Tests of Personality.
7. P. E. Vernon : The Assessment of Psychological Qualities by Verbal Methods.
8. R. S. Woodworth : Experimental Psychology.

انظر أيضا :

٩ — اختبارات المزاج والخلق : بحث مترجم لقسم التربية التجريبية بمعهد التربية للمعلمين .

فهـــرس

الفصل الأول

تعاريف الشخصية

صفحة

مقـدمة ١
تعاريف الشخصية ٤
الشخصية كمظهر خارجى ٥
« كقوة مركزية داخلية ٦
« كمجموعة من الصفات ٧
التعاريف القائمة على فكرة التكامل والتفاعل الإجتماعى ٩
التعاريف الوافية للشخصية ٩
مراجع ١٢

الفصل الثانى

مكونات الشخصية

مكونات الشخصية ١٣
تخطيط عام لدراسة مكونات الشخصية ١٦

الفصل الثالث

النواحى الجسمية

النواحى الجسمية ١٩
النمو الجسمى ٢٠
أثر افرازات الغدد فى الشخصية ٢١

صفحة

أثر المظاهر الحركية فى الشخصية ٢٤
أثر العاهات والأمراض الجسمية فى الشخصية ٢٥

الفصل الرابع

النواحى المعرفية

النواحى المعرفية... ... ... ٢٧
(ا) العمليات العقلية ومستوياتها ٢٨
المستوى الحسى الإدراكى ٢٩
المستوى الإدراكى الحركى ٣٠
المستوى الترابطى ٣٠
مستوى إدراك العلاقات ٣٢
(ب) القدرات العقلية المعرفية ٣٤

الفصل الخامس

الذكاء

الذكاء ٣٧
طبقات الذكاء ٣٩
شخصية العبقرى ٤١
شخصية ضعيف العقل ٤٧
الفروق الفردية فى الذكاء وأثرها فى الشخصية ٥٢
علاقة الذكاء بالإجرام ٥٣
علاقة الذكاء بالقابلية للتعلم ٥٥
علاقة الذكاء بالنجاح المهنى ٥٩
مراجع ٦١

الفصل السادس

الاستعدادات المعرفية الخاصة

صفحة

العوامل والملكات ٦٢
الاستعداد والقدرة ٦٧
قائمة الاستعدادات الفطرية ٦٨
القدرات اللفظية ٦٩
القدرات الميكانيكية ٧١
قدرات التصور البصرى المكانى ٧٣
القدرات الادراكية ٧٤
قدرات التوافق الحركى ٧٥
القدرات الحسابية أو العددية ٧٦
قدرات التفكير ٧٧
القدرات الموسيقية ٧٨
القدرة على الرسم ٧٩
القدرة على تقدير الجمال ٧٩
قدرات الذاكرة... ... ... ٨٠
قدرات أخرى عامة وليست خاصة ٨١
شكل يوضح الاستعدادات العقلية الخاصة ٨٣

الفصل السابع

القدرات المعرفية المكتسبة

المستوى الثقافى العام ٨٥
تأثير العامل الثقافى فى قياس الذكاء ٨٧
القدرات الثقافية الخاصة ٩٠
القدرات النظرية التعليمية ٩٢

صحفة

القدرات العملية المهنية ٩٤
أنواع الشخصية بحسب الميول الثقافية ٩٦
مراجع ٩٩

الفصل الثامن

النواحي المزاجية

معنى التكوين المزاجى ١٠١
الطاقة المزاجية العامة ١٠٢
الاختلافات الفردية فى الطاقة الانفعالية ١٠٣
النماذج المزاجية الطائفية ١٠٦
التصنيف الرباعى ١٠٦
الناس من وجوههم ١٠٩
تصنيف كرتشمر ١١٠
تصنيف يونج ١١١
تقسيمات أخرى ١١٣
الصفات المزاجية الخاصة ١١٣
بحث بيرت فى التكوين المزاجى ١١٨
التنظيم الانفعالى ١٢٠

الفصل التاسع

الصفات المزاجية المكتسبة

العواطف ١٢٤
الاتجاهات العقلية ١٢٧
الصراع النفسى وتفسيراته ١٣١
النظرية الفسيولوجية ١٣٢
النظرية البيولوجية النفسية ١٣٣

صفحة

النظرية السلوكية ١٣٤
نظرية المجال ١٣٥
نتائج الصراع ١٣٦
الجهاز النفسى واللاشعور ١٣٧
طبوغرافية الجهاز النفسى ١٣٩
التفسير التحليلى للصراع النفسى ونتائجه ١٤٢
تصنيف الأمراض النفسية والعقلية ١٤٤
أنواع الأمراض النفسية ١٤٦
أنواع الأمراض العقلية أو الذهانية ١٤٧
مراجع ١٤٩

الفصل العاشر

النواحى الخلقية

النواحى الخلقية ١٥٠
العادات ١٥٢
الميول ١٥٥
الصفات الخلقيه ١٥٩
قائمة الصفات الخلقية ١٦٢
التحليل العاملى فى محيط الصفات الخلقية ١٦٦
مراجع ١٦٧

الفصل الحادى عشر

أثر البيئة فى تكوين الشخصية

أثر البيئة فى تكوين الشخصية ١٦٨
البيئة المنزلية ١٦٩
البيئة المدرسية ١٧٣

بيئة المجتمع العام ١٧٨
أمثلة لتأثير البيئة فى الشخصية ١٨١
اختلاف الشخصية فى المجتمعات المعاصرة ١٨٤
مراجع ١٨٥

الفصل الثانى عشر

تكامل الشخصية

معنى التكامل ١٨٧
الصحة النفسية ١٨٩
انحلال الشخصية ١٩١

الفصل الثالث عشر

طرق دراسة الشخصية

دراسة النواحى الجسمية ١٩٣
دراسة النواحى المعرفية ١٩٤
دراسة النواحى المزاجية والانفعالية ١٩٥
دراسة النواحى الخلقية ١٩٦
دراسة البيئة ١٩٧
الطرق العامة لدراسة الشخصية ١٩٨
مراجع ٢٠٠

دار مصر للطباعة
٧ شارع سيبويه المصري - فيصل - الجيزة

LIBRARY

SEP '71

BF
173
B2x
1951

LIBRARY